دير السيدة العذراء مريم السريان

ذو القلب النقي

الراهب القمص بيشوي السرياني

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان

إعداد
الراهب فانوس السرياني

مَكْتَبة دَيْر السَّيِّدَة العَذْرَاء
السُّرْيَان

الـــرَّاهِـــــبْ

القُمُّص بِيشُوي السُّرْيَانِي

ذُوْ القَلْبُ النَّقِيُّ

إعْدَاد
الرَّاهِبْ
فَانُوس السُّرْيَانِي

تقديم وَمُراجَعَة
نِيَافِة الأنْبَا مَتَّاؤُس
أُسقُف ورئِيس دَيْر السُّريان العامِر

اسـم الكِتَـاب	:	الرَّاهِبْ القُمُّص بيشُوي السُّرْيَانِي ذُوْ القَلْبُ النَّقِيُّ
تقـديم وَمُراجَعَـة	:	نِيَافة الأنْبَا متَّاؤُس
إعْـداد	:	الرَّاهِبْ فَانُوس السُّرْيَانِي
كتَابـة كمبيُـوتر	:	مجدي إسحق خليل ٢٧٨٧٣٣٢ - ٠١٢٨
المَطبعـة	:	أمبريال بعابدين ت: ٢٣٩١٤٦٧٠
الطَّبعَـة	:	الأُولى ٢٠١٨م
رقـم الإيـداع	:	١٦٩٢٤ / ٢٠١٨ م

قَدَاسِة البابا المُعظَّم الأنبَا تواضرُوس الثَّانِي

بابا الإسكندريَّة وبطريرك الكِرازة المرقُسيَّة

نِيَافة الحَبْر الجَلِيل الأنبَا مَتَّاؤُس

أُسقُف ورئيس دَيْر السُّريَان العَامِر

باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس

الله الواحِد آمين

تَقْدِيم

الأب الرَّاهِبْ القُمُّص بيشُوي السُّرياني عَاشَ بيننا كملاك على الأرض، كان يتميَّز بصِفات وفضائِل رُوحانيَّة كثيرة، منها:

١. **الهدُوء:** كان هادِئاً جداً في كلامُه، وفي مشيُه، وفي تصرُّفاتُه كُلِّها، كالنِّسمة الحُلوة المُرِيحة.

٢. **الصمت:** كان يتميَّز بالصمت، لا يتكلَّم إلاَّ إذا سألتُه، والجواب على قدر السُّؤال فقط ثُمَّ يصمُت.

٣. **الصَّلاَة:** كان يُحِبُّ الصَّلاَة، ويُؤمِنْ أنَّ الصَّلاَة هي العمل الرَّئيسي والأساسِي للرَّاهِبْ، يُصلِّي في قلايته والنَّوافذ مفتُوحة، فيراهُ ويسمعهُ الرُّهبان المُجاوِرُون لهُ، ويُكلِّمُونهُ في هذا الموضُوع، فيقُول: " أنا مُجرَّد أعمل عملي وواجبي، وأنت اعمل مثلِي "، فهذا هو عمل الرَّاهِبْ. كان أحياناً يتمشَّى في طُرقَة طويلة أمام القلالِي ويُصلِّي حتَّى يُكمِل قانُونُه، ويبقَى سعِيداً بعشرتِه القويَّة مع الله.

٤. **لا يدِينُ أحداً:** كان يكره خطيَّة الإدانة ويحفظ لِسانُه مِنْ إدانة الآخرين حسب وصيَّة المسِيح: **" لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا "** (**مت ٧: ١**)، ويحفظ أذُنيه مِنْ الاستِماع لِكلام الإدانة.

٥. **لا يحتك بأحدٍ مِنْ خارِج الدَّيْر:** كان يُحِب الجو الرَّهباني ويبتعِد عن التَّعارُف والاحتِكاك بالآخرين حتَّى لا يفقد سلامُه، وحتَّى لا يُشتِّتْ ذهنهُ بسماع أخبار ومشاكِل لا تهمُّه، لكِنَّهُ يُصلِّي مِنْ أجل الكَنِيسَة والنَّاس بكُل قلبِه.

هذه بعض الفضائل وغيرها كثير كان يتحلّى بها الرَّاهبْ القُمُّص بيشُوي السُّرياني، تكلّم عنها الأب الرَّاهبْ فانُوس السُّرياني في هذا الكتاب، إلى جانبْ السِّيرة العَطِرَة للقُمُّص بيشُوي مُنذُ وُلادته حتَّى نياحته، ذَكَرَهَا بالتَّفصيل.

نشكُر الرَّاهبْ فانُوس السُّرياني الَّذي قَامَ بتصنيفْ هذا الكتاب، وقدَّم لنا فيه نُموذجاً حيًّا، مُعاشاً، مُعاصراً للفضيلة المسيحيَّة والرَّهبانيَّة الأصيلة.

ونرجو مِنْ الله أن يكُون هذا الكتاب سبب بَرَكَة لكُل مَنْ يقرأهُ، لينتفعْ بهذه القُدوة الحَسَنَة حسب وصيَّة مُعلّمنا بُولس الرَّسُول: " **اُنْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ** " (**عب ١٣: ٧**).

بشفاعة سيِّدتنا كُلّنا وفخر جنسنا القدِّيسة الطَّاهرة مريم، وصلوات أبينا المُكرَّم البابا تواضرُوس الثَّاني، ونعمة الرَّب تشملنا وتُؤازِرْنَا إلى النَّفَسْ الأخير، آمين.

صَوْم السَّيِّدة العذراء

٢٠١٨م

الأنبا متَّاؤس

أُسقُف دَيْر السُّريان العامر

المُقَدِّمَة

لِيتقدَّس ذِهني، ويتعطَّر فمي، ويتذكَّى قلمي إذ ما سطرت يسيراً عن حياة أحد القدِّيسين، ولا سيِّما الآباء الرُّهبان المُجاهدين. حقًّا، لقد كان أبُونا القُمُّص بيشُوي السُّرياني مِثالاً للرَّاهبْ المُجاهد .. النَّاسك .. العابد .. الصَّامتْ في دَيْر السُّريان العامر. لقد كان عمُوداً مُضيئاً في برِّيَّة شِيهيت، ومِثالاً يُحتذَى به في الرَّهبنة الحديثة، فقد كان صُورة حيَّة، ناطقة، مُتحرِّكة، عائشَة معنا وبيننا لرهبنة العصُور الأُولى، ونُموذج واضح لِعُظماء الرَّهبنة الأوائل، فَمَنْ لم يسعفهُ حظُّه لِرُؤية القدِّيس بُولس البسيط (تِلميذ الأنبا أنطونيُوس)، رأى القُمُّص بيشُوي السُّرياني، ومَنْ لم يسعفهُ حظُّه لِرُؤية الأنبا أرسانيُوس مُعلِّم أولاد المُلوك في صلبُه لِجسدُه طُوال اللَّيْل، رأى القُمُّص بيشُوي السُّرياني يقضي اللَّيالي ساهِراً، مُسبِّحاً، ومَنْ لم يسعفهُ حظُّه لِرُؤية الأنبا بيشُوي في حُبِّه لِسفْر إرميا النَّبي، حتَّى دُعِيَ " بيشُوي الآرامي "، رأى القُمُّص بيشُوي السُّرياني في حُبِّه وهذيذُه لأسفار إشعياء وإرميا والمزامير.

حقًّا، عظِيمة هي عطاياك يا ربُّ القُوَّات، فهي جديدة في كل صباح. ومَنْ يقُول أنَّ الرَّهبنة تسير إلى الضَّعْف، يرُدُّ عليه عمالقة الجِيل الحالي، ونُخص بالذِّكر بعضاً مِنْ آباء دَيْر السُّريان فقط: كالقُمُّص متَّاؤُس السُّرياني [1]، المُعلِّم القدير، والمُرشد الخبير بأسرار النَّفْس، فضائلها وتنميتها وضعفاتها وعِلاجها؛ والقُمُّص فلتاؤُس السُّرياني [2]، الرُّوحاني العالي، صديقُ السُّواح؛ والقُمُّص أرمانيُوس السُّرياني [3]، الهائمْ بدَيْر السُّريان بلا مأوى، صاحِبْ النُّبوءَة؛ والقِسْ أُوغريس السُّرياني [4]، النَّاسك الكبير؛ والقُمُّص

---

[1]. ترهبن في ١٩٤٩/٩/٢٧م، وتنيَّح في ٢٠٠٨/٤/٦م.

[2]. ترهبن في ١٩٤٨/١١/٢م، وتنيَّح في ٢٠١٠/٣/١٧م.

[3]. ترهبن في ١٩٤٨/١١/٤م، وتنيَّح في ١٩٩٥/٣/١٣م.

[4]. ترهبن في ١٩٦٠/٦/١٩م، وتنيَّح في ٢٠٠٢/١/٢م.

فليمُون السُّرياني [٥]، ذُوْ الأُبُوة والحِكمة؛ والقُمُّص بيشُوي السُّرياني، الصَّامتْ البسيط، صاحبْ هذه السِّيرة.

لقد مرَّت حياة القُمُّص بيشُوي السُّرياني بمُنعطفات مُتفرِّقة كثيرة، لكنَّهُ بحكمة الرُّوح القُدُس السَّاكنْ فيه، وعملُه الفاعلْ الفَّعال معهُ استطاع أن يجمع كل هذا الشَّتات إلى واحد، ويُقرِّب المسافات إلى ذات الهدف، وهو شخص الرَّب يسُوع المسيح، فَمنْ حياتُه الرِّيفيَّة البسيطة إلى حياة الحَضَرْ والرُّقي، ومِنْ حياة كَنيسَة بسيطة، إلى حياة كنائس كبيرة عظيمة، ومِنْ شخص مجهُول إلى شمَّاس معرُوفاً بالاسم، مطلُوب ومرغُوب فيه، ومِنْ حياة الزَّواج لِحياة الخدمة، للكهنُوت البتُولي، للرَّهبنة. كُلُّها مُتناقضات تجمَّعت جميعاً في شخصه، ولكنْ حياة التَّسليم القويَّة عندُه قادتهُ إلى بر الأمان، بلا تعب ولا ملل، حيثُ سَلَّم دفَّة السَّفينة للرُّبان الأعظم واتَّكلَ عليه بكل قلبُه وفكرُه وعقلُه، فأجرى لهُ الرَّبُّ طريقُه (مز ٣٧: ٥)، فرأى عجائبْ مِنْ عملُه معهُ، حتَّى انطبق عليه قول المُرنِّم: **" اَللَّهُمَّ قَدْ عَلَّمْتَنِي مُنْذُ صِبَايَ وَإِلَى الآنَ أُخْبِرُ بِعَجَائِبِكَ "** (**مز ٧١: ١٧**)، وحتَّى أواخر أيَّام حياتُه كان يقُول مع دانيآل النَّبي: **" اَلآيَاتُ وَالْعَجَائِبُ الَّتِي صَنَعَهَا مَعِي اللهُ الْعَلِيُّ حَسُنَ عِنْدِي أَنْ أُخْبِرَ بِهَا "** (**دا ٤: ٢**).

عندما أتى للدَّيْر كان كبيراً في السِّنْ، كبيراً في القامة الرُّوحيَّة، لكنَّهُ خضع للكل كطفل صغير، يُريد أن يتعلَّم مِنْ جديد، فَنَهَلْ مِنْ الفضائل الرَّهبانيَّة الكثير والكثير، وحظَى بمحبَّة وتقدير الكل، فكان الرُّهبان يتهافتُون على قلايته كالحمام لِبُرجُه، والطَّيْر لعشُّه، ولا يخرجُون إلاَّ وهُمْ بالرُّوح مُنتعشُون، وبالتَّعزية الرُّوحيَّة مُمتلئُون، فكان كلامُه عذباً، وصمتُه أعذب. حقَّاً، هو مَنْ قِيلَ عنهُ: " حتَّى صمتهُ كان مُعزِّياً ". لذلك لا نستغرب كميَّة الدُّمُوع الَّتي سُكبَت مِنْ أبنائه الرُّهبان حُزناً لفُراقُه، وألماً لِرحيلُه، ولكنْ العزاء الوحيد أنَّنا كسبنا شفيعاً جديداً، وسَنَداً قوياً لنا في الفردُوس.

بشفاعة معدن الطُّهر والبركات، ينبُوع كل التَّعزيات، والِدة الإله القدِّيسة مريم

---

[٥] ترهبن في ١٩٨٧/٩/٦م، وتنيَّح في ٢٠١٧/٤/٣م.

العذراء، والأنبا يُحنس كاما القِسْ، شفيع دَيْرنا العامِر، وبصلوات صاحِبْ الغِبطة والقداسة البابا المُعظَّم الأنبا تواضرُوس الثَّانِي، وبصلوات صاحِبْ النِّيافة الحَبْر الجليل الأنبا متَّاؤُس، أُسقُف ورئِيس دَيْر السُّريان العامِر، آمِين.

الإثنين ٢٧ نوڤمبر ٢٠١٧م
١٨ هاتُور ١٧٣٤ش
(استشهاد القدِّيس فيلُبس الرَّسُول
تذكار مُعجزة نقل جبل المُقطم)

الرَّاهِبْ
فَانُوس السُّريانِي

البَـــابُ الأَوَّل

النَّشْـأَة الأُوْلَـــى

وَمَعَالِـم الطَّرِيق

الميلاد

" قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ. وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيّاً لِلشُّعُوبِ " (إر ١: ٥).

بين ربُوع الرِّيف الهادئ، في إحدى مُحافظات دلتا مصْر، تمخَّضت الأيَّام عن هذا الطِّفل المبرُوك للمقدِّس إسحق فرج، الَّذي كان يعمل فلاَّحاً بسيطاً، فوضعت السَّيِّدة رُوزة إيلياس الَّتي كانت تعمل ربَّة منزل طفلها الثَّالث زكريَّا إسحق فرج، في العشرين منْ نُوڤمبر سنة ١٩٣٦م، وذلك في قرية هناي، مركز الباجُور، مُحافظة المنُوفيَّة، نما في هذه الظُّرُوف البسيطة والأُسرة المُباركة، فتوغَّلت الرُّوحيات في كيانه تلقائياً بدُون تكليف أو ضغط منْ أحد.

النَّشأة

" وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ " (لو ٢: ٥٢).

عَاشَ الطِّفل زكريَّا طُفولته في قرية هناي، حتَّى الخامسة منْ عُمره تقريباً، وبدأ في هذا السِّنْ الصَّغير يخطو خطواته الأُولى نحو كَنيسَة السَّيِّدة العذراء في هناي، ثُمَّ انتقلت الأُسرة لقرية كفر السَّنابسة، مركز منُوف، المُنوفيَّة، حيثُ قَامَ المقدِّس إسحق فرج ببيع أملاكه في قرية هناي، الباجُور، وهي عبارة عن قطعة أرض زراعيَّة صغيرة، واشترى بها مساحة أرض زراعيَّة أكبر في كفر السَّنابسة، منُوف، فكان لهذا التَّغيير في محل السَّكن بالغ الأثر على حياة الصَّبي زكريَّا.

سكنت الأُسرة في شارع كثيراً ما يتشاجر به السُّكان مع بعضهمْ البعض، ويقذف الجيران بعضهمْ بأفظع الشَّتائم وأحقر الصِّفات، فكانت الكلمات الَّتي لا تليق تتأرجح بين الطَّرفين منْ باب لباب، ومنْ نافذة لنافذة. كان الصَّبي زكريَّا يشمئزْ كثيراً منْ سماع تلكَ الشَّتائمْ الَّتي لا تليق والألفاظ الخارجة الَّتي تخدش حياء ووقار آذانه النَّقيَّة، فكان يقُوم بغلق الباب والنَّوافذ ويُسرع إلى الكتاب المُقدَّس ليقرأ فيه،

فيُقدِّس آذانه ويُنقِّي فمُه بالكلمات المُقدَّسة، أو يمسك الأجبية ويُصلِّي بها بصوته الجهُوري العالي، ليمنع عن نفسُه وعن الأُسرة وصُول الأصوات والكلمات الَّتي لا تليق، ويُقدِّس المكان بحلُول رُوح الله القُدُّوس فيه، فكان دائماً يُسرِع إلى الله ليحتمِي فيه سواء بالقراءة أو بالصَّلاة.

عُرِفَ ذلك عن الصَّبي زكريَّا بين سُكَّان الشَّارِع، فزاد حُبَّهُمْ لهُ وتقديرهُمْ لشخصُه، حتَّى أنَّ إحدى السَّيِّدات حينما وضعت مولُوداً أسمتهُ " زكريَّا " تيَّمُناً باسمه وإعجاباً بشخصه المُبارك، **" وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ فَوَلَدَت ابْناً. وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا فَفَرِحُوا مَعَهَا. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا "** (لو ١: ٥٧ – ٥٩).

كانت والدتُه السَّيِّدة رُوزة إيلياس لها أخ يُدعَى كامل إيلياس، مِنْ أشهر نجَّارِي المُوبيليا في شُبرا، القاهرة، وكان المُتنيِّح نِيافة الأنبا بنيامين، مُطران المنُوفيَّة الأسبق [٦] كثير التَّردُّد عليه في شُبرا، فكان الخال كامل بدورُه ينقل لابن أُختُه الحياة الملائكيَّة الَّتي يحياها الأنبا بنيامين، فانطبعت تلك الصُّورة في ذهنُه تلقائياً، ونمت مع الأيَّام وكبرت معهُ، حتَّى صارت تلك الصُّورة الملائكيَّة لا تُفارِق عينيه ولا ذهنُه مُطلقاً، حتَّى أصبح يحلم بتلك الحياة النُّورانيَّة.

الخالة مريم

" وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطَلِبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَاراً " (لو ٢: ٣٦ – ٣٧).

بعد حوالي أسبُوع مِنْ زِفافها، ترمَّلت الخالة مريم وهي في رِيعان الشَّباب، رفضت الزَّواج مرَّة أُخرى وكرَّست العُمر الباقي لخدمة السَّيِّد المسيح مِنْ صلاة وتسبيح وعبادة، فخصَّصت حُجرة في منزِلها للصَّلاة، وزيَّنتها بصُور القدِّيسين مِنْ

---

[٦] تنيَّح في نُوفمبر ١٩٦٣م.

جميع الجوانبْ، وكانت تقضي فترات طويلة في الصَّلاة بها، بعد ما تُضيء شمعة وتضعها في الشَّرقيَّة أمام صُورة السَّيِّد المسيح والسَّيِّدة العذراء مريم.

عندما فتَّح زكريَّا عينيه على الدُّنيا، وجد أمامُه خالتُه تشع قداسة، وتتدفق النِّعمة منها أنهاراً، فارتبطت رُوحُه بها جداً، وأخذت تنهل مِنْ هذا الينبُوع الفيَّاض، وبدأ يُحاكي ويُقلِّد خالتُه في كل شيء، فخصَّص لنفسُه حُجرة في المنزل، قدَّسها بصُور القدِّيسين مثلها، كما تعلَّم إضاءة الشُّمُوع أمام صُور القدِّيسين مثلها أيضاً، وأخذ ينمو في الصَّلاة رُويداً رُويداً، حتَّى صَارَ منهجُه العُزلة عن كل شيء والبُعد عن كل أحد، بما فيه أفراد الأُسرة، فيتركهُمْ سريعاً إلى حُجرتُه ليختلي مع حبيب النَّفْس الغالي، يسُوع المسيح، كما تفعل خالتُه مريم. وصَارَ هذا نهجهُ حتَّى عندما ذهب للسَّكن في القَّاهرة صنع بحُجرتُه نفس الشيء مِنْ صُور القدِّيسين والشُّمُوع. حقَّاً، كانت قداسة خالتُه سراجاً أضَاءَ لهُ الطَّريق، وينبُوعاً ارتوى منهُ بشغف، ومُعلِّماً تربَّى على يديها.

النُّبُوءَة

" فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ " (**لو ٢: ٣٨**).

ذات يوم، بينما كانت تجلس والدتُه مع أُختها مريم في صالة البيت الرِّيفي، رجع الطِّفل زكريَّا مِنْ الكَنيسَة، وكان عُمرُه آنذاك حوالي سبع سنوات، ثُمَّ دخل الحُجرة الَّتي بها ملابس والدتُه الفاضلة، وأخذ الطَّرحة السَّوداء الكبيرة الخاصَّة بها [٧]، كانت تلف بها السَّيِّدة الرِّيفيَّة رأسها ووجهها عدَّة مرَّات، وينسدل باقيها على الكتفين لتقيها برُودة الشِّتاء وحرارة الصَّيْف، وكنُوع مِنْ الحشمة والوقار، ثُمَّ وَضَعَهَا على رأسه ولفَّها حول صدرُه وظهرُه، ونظراً لصغر سنُّه، فتغطَّى جسمُه بالطَّرحة السَّوداء كُلُّه، ثُمَّ خرج إليهما، وعندما رآياه تعجَّبا جداً مِمَّا فَعَلْ، وقالت لهُ والدتُه: " إيه يا ولد

---

[٧] وهي عِبارة عن قِطعة قُماش مُستطيلة وكبيرة.

اللي أنت عاملُه ده؟ "، أجابها: " أصل أنا لمَّا أكبر ها ألبس كده "، وبالطبع كان يقصد لِبْس الملابِسْ الكهنُوتيَّة السَّوداء، لأنَّهُ كان مُتأثِّراً بملابِسْ كاهِنْ الكَنيسَة. وهذا ما تمَّ بالفِعْل سواء ككاهِنْ أو كراهِبْ.

الصَّوم

" رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ وَلَحْمِي هُزِلَ عَنْ سِمَنٍ " (مز ١٠٩: ٢٤).

[اختر التَّعْب فهو يُخلِّصك مِنْ جميع الفواحش، مع الصَّوم والصَّلاة والسَّهر، لأنَّ تعب الجسد يجلبْ الطَّهارة للقلب، وطهارة القلب تجعل النَّفْس تُثمر].

(الأنبا أنطونيُوس)

ليس الصَّوم هو عادة نتدرَّب عليها، ولكنَّهُ حياة نحياها فتنمو في داخِل الإنسان فضائِل وفضائِل عِدَّة. والصَّوم المقبُول هو الَّذي يكُون فيه الإنسان يمتنع عن الخطايا ويتقدَّم في الرُّوحيات، وبمقدار سُمو الإنسان عن المادِّيات ينمُو في الرُّوحيات، وهذا ما دَفَعْ الشَّاب زكريَّا أن يضبط جسدُه الشَّبابي القوي بكل ميُولُه ورغباتُه وشهواتُه، ليسمو في الرُّوحيات، كقول العظيم بُولس الرَّسُول: **" بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً "** (١كو ٩: ٢٧)، وهذا يُطابق ما قالهُ العظيم في العارِفين، مار إسحق السُّرياني: **[إنسان يتسلَّح بالصَّوم، يكُون على الدَّوام مُلتهِباً بالغيرة. مَنْ يبقى في الصَّوم يحفظ ذهنُه مُستقيماً ومُستعداً لمُواجهة كل الشَّهوات العنيفة].**

لذلك كان يصُوم لساعات مُتأخِّرة جداً، ولا سيَّما صوم السَّيِّدة العذراء، الَّذي كان يصومُه إلى ما بعد الغرُوب، وهو ما يُطلق عليه العامَّة " يصُوم للنِّجمة "، أي يصُوم إلى أن يحِل المساء، ولا يقطع صومُه إلاَّ مع ظُهُور النُّجُوم في كَبَدْ السَّماء.

التَّعليم

" وَأَعْطَيْتَهُمْ رُوحَكَ الصَّالِحَ لِتَعْلِيمِهِمْ " (نح ٩: ٢٠).

" لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضاً " (١تي ٤: ١٦).

كان التَّعليم في زمانه مِثْل العُملة النَّادرة، فقليلُون هُمْ الَّذين انتظمُوا في المراحل التَّعليميَّة، لكنْ زكريَّا انتظم في المدارس الأميريَّة حتَّى حصل على شهادة الابتدائيَّة، ومع ذلك كان خطُّه جميلاً جداً، حتَّى أنّ أحد أقرباؤُه وصف جمال خطُّه وحُسْن تنسيقُه، قائلاً: " أَنَّهُ مِثْل سلاسِل الذَّهب "، وكانت شهادة مُعترف بها في زمانه، ويستطيع الحاصل عليها التَّقدُّم للعمل بها في المصالح الحكُوميَّة والخاصَّة، وهو ما فعلهُ الشَّاب زكريَّا فيما بعد.

وذَكَرْ بعض أقرباؤُه أَنَّهُ حصل على شهادة الإعداديَّة منازل، كما أَنَّهُ حصل على دبلُوم مركز التَّدريب المهني، وكان هذا المعهد يمنح شهادة بعد ستَّة أشهُر، وشهادة بعد سنة، وشهادة بعد سنتين، فاختار الشَّهادة الَّتي بعد سنة دراسيَّة، وبذلك حصل على شهادة دبلُوم التَّدريب المهني كشهادة خبرة، وهي الَّتي تقدَّم للعمل بها في القاهرة فيما بعد.

علاقتُه بقدِّيسي عصرُه

" لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا " (٢تس ٣: ٩).

[ينبغي على الأبناء أن يتشبَّهُوا بآبائهِمْ. أطلُبْ منكُمْ إذن أن تعلمُوا أَنَّهُ بالإضافة إلى كونكُمْ مسيحيين، أنتُمْ أيضاً أبناء الرُّسُل. هذا هو في الحقيقة ما يُعلنهُ لنا الكتاب المُقدَّس، " لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ " (١كو ٤: ١٥). فبما أَنَّكُمْ أبناؤُهُمْ تمثَّلُوا إذن بسيرتِهِمْ وأعمالِهِمْ].

(الأنبا مقار الكبير)

حقّاً، قَالَ أحد القدّيسين: **[أنّ الفضيلة تُريد منّا أن نُريدها لا غير]**. وعندما أراد الشّاب زكريّا أن يعيش حياة الفضيلة، وضع الله في طريقه الكثير مِنْ القدّيسين الّذين يحيون الفضيلة الحقّة، فَنَهَلَ منهُمْ الكثير وتعلّم عنهُمْ المُفيد لهُ، ومِنْ هؤلاء الآباء القدّيسين:

١. القُمُّص كيرلُس

كاهِنْ كَنيسَة السّيّدة العذراء في قرية بهناي – منُوف – مسقط رأسُه، وهو أوّل مَنْ رآه مِنْ رِجال الدِّين، وكان شيخاً وقُوراً، وقدّيساً عظيماً، تعلّم على يديه حُبْ الكَنيسَة وحرارة الصّلاة والمُواظبة على حضُور القُدّاسات والتّقرُب مِنْ الأسرار الإلهيَّة باستمرار.

٢. القُمُّص أنطونيُوس إبراهيم

كاهِنْ كَنيسَة مارجرجس، منُوف، كان كاهناً محبُوباً جداً مِنْ شعب منُوف، مسيحيين ومُسلمين، حتّى أنّ الّذين تقدّمُوا بالتّزكية لهُ لترشيحُه للكهنُوت هُمْ مُسلمي مركز منُوف، وتحديداً عائلة " الدّفراوي "، وهي كُبرَى عائلات مركز منُوف. ففي يوم الأحد ٢٠ بشنس، سنة ١٦٦٦ش، المُوافق ٢٨ مايو، سنة ١٩٥٠م، أي يوم عيد العنصرة، قَامَ نيافة المُتنيِّح الأنبا دِمتريُوس [٨] أُسقف المنُوفيَّة والسّنطة برسامة القسْ أنطونيُوس كاهناً لكَنيسة مارجرجس بمنُوف. تتلمذ زكريّا على يديه،

---

[٨] الأنبا دِمتريُوس، كان اسمُه القُمُّص مكاري الأنبا بيشُوي، رسمهُ الأنبا يُوأنسْ مُطراناً للمنُوفيَّة باسم الأنبا دِمتريُوس، في أوّل مارس ١٩٣١م. وقد توفّى على أثر حادث أليم، عندما انقلبت به السّيارة وهو في طريقُه إلى القاهرة، في ٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠م (عن كتاب: فيشا في قرن، للدُّكتُور/ يعقُوب جرجس).

خصُوصاً بعد تغيير محل الإقامة إلى كفر السَّنابسة، منُوف، واتخذ القُمُّص أنطونيُوس إبراهِيم أب اعتِراف لهُ، وكان مشهُوراً بالأُبُّوة الحقّة وسِعة الصّدر.

٣. القُمُّص يُوحنَّا نخلة

كان كاهِناً بسِيطاً، أعطاهُ الله موهِبة صُنْع المُعجزات. ذَاتَ ليلة استطاع اللُّصُوص أن ينقُبُوا جدار حظِيرة المواشِي الخاصَّة بهِ وأخذُوها جمِيعاً وهربُوا دُون أن يشعُر بهُمْ أحداً. وعلى بُعْد مسافة كبِيرة مِنْ البلد اِستوقفهُمْ ضابط يمتطِي جوَّادُه كعادة الضُّبَّاط في ذلِك الزَّمان، ثُمَّ اصطحبهُمْ إلى مركز الشُّرطة، وهُناك تحرَّر لهُمْ محضر، وتم التَّحرُز على المواشِي وحبس اللُّصُوص. في الصَّباح وصلت رِسالة لعُمدة القرية باستدعاء القُمُص يُوحنَّا نخلة لِمركز الشُّرطة، وعندما ذهب أبونا يُوحنَّا تسلَّم المواشِي المسرُوقة كامِلةً، ولم يفقد منها ظلف ماشية، أمَّا الضَّابِط الَّذي كان قد قبض على هؤلاء اللُّصُوص ليلاً، كان قد حرَّر المحضر ووقَّع عليه باسمُه، وكان اسمُه في محضر الشُّرطة " جرجِس الرُّومانِي ".

كان أبونا بيشُوي السُّريانِي يعترِف عند القُمُّص يُوحنَّا نخلة، خصُوصاً في فترة خِدمة القُمُّص بيشُوي في المُنوفيَّة – سنتحدَّث عن ذلِك لاحِقاً – فكان القُمُّص بيشُوي يركب الحِمار ويذهب إليه، وبمُجرَّد أن يراه يترِل عن الحِمار سرِيعاً بكل احتِرام وتقدِير لأبيه القُمُّص يُوحنَّا، ثُمَّ يركع تحت رجليه وهو يعترِف، ويُقبِّل يديه بكل أُبُّوة، فكان القُمُّص يُوحنَّا يقُول في تواضُعْ جم: " يا خطيتك يا حنَّا، هيَّ الرُّؤُوس اتساوِت ولاَّ إيه؟! "، ويقصِد بذلِك أنَّ الرَّاهِبْ القسْ بيشُوي السُّريانِي الَّذي يعترِف عندهُ أعظم منهُ، لكِنْ أبونا بيشُوي كان يرُد عليه قائلاً: " لا، أنت أبويا، وأنا اِبنك "، واستمرَّ أبونا بيشُوي يعترِف على يديه حتَّى نِياحتِه.

٤. القُمُّص إيليَّا إسحق

كاهِنْ كَنِيسَة السَّيِّدة العذراء بقرية فيشا الصُّغرى، مركز الباجُور. ففي صباح يوم

الأحد ١٢ يوليو سنة ١٩٥٩م، المُوافق عيد الرُّسُل، حضر بكَنيسَة فيشا الأنبا بنيامين مُطران المَنُوفيَّة [٩]، وقَامَ برسامة إيليَّا عريان ميخائيل – وهو نجل المُتنيِّح القُمُّص إسحق ميخائيل – كاهناً على فِيشا، وسُمِّيَ باسم القِسْ إيليَّا إسحق، وكان عُمرُه حوالي ثمانية وعشرُون سنة.

كان الشَّاب زكريَّا كثيراً ما يذهب للصَّلاة في هذه البلدة، وكان يخدم فيها كشمَّاس، وكان محبُوباً جداً مِنْ القُمُّص إيليَّا وشعب الكَنيسَة، لذلك كان كثيراً ما يمزح معهُ القُمُّص إيليَّا إسحق قائلاً: " يا أخ زكريَّا، أنا عندي بِنْت جميلة جداً، وعيناها زرقاء، عايز أجوِّزها لك "، فيرُد الشَّاب زكريَّا بكل هدُوء: " ربِّنا يخليها لك يا أبُونا "، ثُمَّ يُعطيه القُمُّص إيليَّا إسحق عظة القُدَّاس، فتفرح النَّاس بجمال عِظاتُه وتتعزَّى بكلمات النِّعمة الخارجة مِنْ فمه المُبارك.

هذه باقة بسيطة مِنْ القِمَمْ الرُّوحيَّة العالية الَّتي تعامل معها الشَّاب زكريَّا في مطلع حياتُه، فكوَّنت شخصيتهُ ووُجدانُه، واستطاعت أن ترفعهُ معها في الرُّوحيات.

الشُّمُوسيَّة

" لأَنَّ الَّذينَ تَشَمَّسُوا حَسَناً يَقْتَنُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَرَجَةً حَسَنَةً وَثِقَةً كَثيرَةً فِي الإِيمَانِ الَّذي بِالْمَسيحِ يَسُوعَ " (**١تي ٣: ١٣**).

[ضع مذبح بخُور في أعماق قلبك، كُنْ رائحة المسيح الذَّكيَّة].

(العلاَّمة أُوريجينُوس)

كل هذا الجو الرُّوحي الَّذي نشأ فيه الطِّفل زكريَّا، شجَّعهُ على حُبْ السَّيِّد المسيح وحُبْ الكَنيسَة، وإذا بهذا الحُبْ توَّجهُ ببَرَكَة خدمة الشُّمُوسيَّة المُقدَّسة، حيثُ كان دائم الحضُور مُبكِّراً لكَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم، بقرية سدُود، منُوف، وكان

---

[٩] الأنبا بنيامين، كان اسمُه عزمي راغبْ، مِنْ سُوهاج، ترهَّبْ بدَيْر البرمُوس في ٢ أغسطُس ١٩٤٥م، ورُسِمَ أُسقفاً للمنُوفية في ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠م، ومُطراناً في ٢٧ يناير ١٩٥٢م، وتنيَّح في ١١ نُوفمبر ١٩٦٣م.

يقطع المشوار سيراً على الأقدام، مُستغرقاً في ذلك حوالي السَّاعة، لا يُعيقُه برد الشِّتاء، ولا تمنعُه حرارة الصَّيْف، بل كانت حرارة الرُّوح داخلُه تدفعُه للأمام، كحرارة الموتُور الَّذي تُزيدُه عملاً، مُحبِّاً للألحان، مُنصتاً جيِّداً لها.

أرسل لهُ الله مُرتِّل كَنيسَة العذراء مريم، بقرية سدُود، المعلِّم إبراهيم، فتسلَّم منهُ الألحان والمردَّات الَّتي كان يحفظها غيباً، وكما يذكُر أهل القرية عن المعلِّم إبراهيم، أنَّهُ كان معلِّم يُخرِّج مُعلِّمين، حتَّى أنَّ صيتُه كان قد وصل إلى البابا البطريرك في ذلك الزَّمان، وكان يتميَّز بالشِّدة والحزم والتَّدقيق في الحفْظ، كما أنَّ الطِّفل زكريَّا كان بمثابة الألفة للأطفال الَّذين يحضرُون الحصَّة معهُ، فيكُون أوَّل مَنْ يحفظ اللحن أو المرد، ثُمَّ يطلُب منهُ المعلِّم إبراهيم أن يُكرِّرُه عدَّة مرَّات ليُحفِّظهُ عنهُ باقي الأطفال.

وفي مُقابل هذا الاجتهاد في الحفْظ، والجَدْ في التَّحصيل، طلب مِنْ القُمُّص أنطونيُوس إبراهيم – كاهنْ كَنيسَة مارجرجس بمنُوف، وأب اعترافُه – خطاب تزكية إلى أحد الأساقفة ليرسمهُ شمَّاساً، فكتب لهُ تزكية ووضعها في ظرف خطاب وسلَّمها للفتى زكريَّا، وقَالَ لهُ: " اذهب إلى كفر داوُد، وهُناك في مقر دَيْر الأنبا بيشُوي ستجد الأنبا باسيليُوس، أُسقُف ورئيس دَيْر الأنبا بيشُوي، أعطِه التَّزكية وسوف يرسمك شمَّاساً ".

باكراً جداً ذهب إلى المقر، وسأل على الأنبا باسيليُوس، لأنَّهُ لم يكُنْ يعرِفُه، فَعَلَمْ أنَّهُ ما زال في قلاَّيته بالدُّور الثَّاني، صَعَدَ لهُ وطرق الباب، وعندما فَتَحْ نيافة الأنبا باسيليُوس الباب، عمل لهُ ميطانية وأخذ بَرَكَتْهُ، ثُمَّ أعطاه خطاب التَّزكية، قرأهُ ثُمَّ قَالَ لهُ: " انزل انتظرني في الكَنيسَة، أنا نازل القُدَّاس حالاً ". أثناء القُدَّاس رسمهُ سيِّدنا إبصالتُس، ثُمَّ أُغنُسطُس، ثُمَّ رقَّاه إلى إيبوذياكُون، وبعدها سألهُ: " هل أنت مُتزوج؟ "، فأجابهُ: " لا يا سيِّدنا "، رد عليه سيِّدنا: " يُبقَى مش ها نُعطيك أكثر مِنْ كده "، وكان عُمرُه في ذلك الحين حوالي السَّابعة أو الثَّامنة عشر عاماً. وبذلك أخذ ثلاث رُتب في قُدَّاس واحد، وكان يُصلِّي شريكاً مع نيافة الأنبا باسيليُوس القُمُّص يُوحنا الأنبا بيشُوي، وكيل وقف الدَّيْر، الَّذي تنيَّح عن عُمر يُناهز التِّسعين عاماً.

بعد أن أخذ نعمة الشُّمُوسيَّة، انطلق الشَّماس زكريَّا كالمُبشِّر يُصلِّي في كل كَنيسَة قُدَّاساً، حيثُ قَامَ بتفصيل تُونية جديدة، واشترى شنطة تَسَعْ التُّونية والخُولاجي والتَّليج والأجبية والبطرشيل، وهو بذلك يُشبه الجُندي الَّذي يخرُج للحرب ومعهُ عُدَّتهُ كاملةً، فيكُون جهادُه قانُوني وفعَّال، كقول بُولس الرَّسُول: " **فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ. وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيّاً** " (**٢تي ٢: ٣ – ٥**)، فكان يأخُذ التُّونية يومي الأحد والجُمعة، ويخرُج وهو لا يعلم إلى أين يذهب، إلى أن يُرشِدهُ الرَّب لكَنيسَة ما، فيذهب ويُصلِّي بها، وكثيراً ما تكُون الكَنيسَة الَّتي يذهب إليها – بلا ترتيب ولا سابق ميعاد – في مسيس الحاجة لشمَّاس ليستطيع الكاهنْ إتمام الصَّلوات، وكان الشَّعب يستمتعْ جداً بصوتُه العذب ولحنُه المُتقن ورُوحانيتُه العالية.

موقفْ غريب

" **بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثاً فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي** " (**عب ١١: ٨**).

[قدِّس لساني منْ كل الأخبار العالميَّة، وبعشرتك يتحرَّك للتَّسبيح. ربِّي، قد فتحت فمي، فاملأهُ منْ تسبيحك كما وعدت، ولا يُمر فيه كلام باطل ليتفوَّه به، لتتحرَّك ألحاني صوب موهبتك المملُوءة عَجَباً].

(القدِّيس مار يعقُوب السُّرُوجي)

كما قُلنا، أنَّهُ كان يخرُج وهو لا يعلم إلى أين يذهب، فكان يختار الكنائسْ البعيدة الَّتي لا يُوجد بها شمامسة ليخدم بها. وذات مرَّة، قادهُ فكرُه ليذهب إلى كَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم في قرية الطَّرانة بالقُرْب منْ كفر داوُد، فرحَّبْ به الكاهنْ جداً، ثُمَّ رشم لهُ التُّونية، وتقدَّم ليخدم معهُ داخل الهيكل، وصلَّى كل مردَّات الشَّماس داخل الهيكل (رُبما لم يكُنْ معهُ شمامسة آخرين)، وبعد الاعتراف وعند التَّناوُل تقدَّم الشَّماس

زكريَّا لِلتَّناوُل، لكِنْ الكاهِنْ امتنع عن تناوُله وقَالَ لهُ: " يا ابني، أنا مش ها أناولك لأنِّي لا أعرِفك "، فبكل بساطة ووداعة تراجع الشَّماس زكريَّا للخلف، ولم يتناول ولم يحدُث منهُ أي ضجيج أو اعتراض، وخرج مِنْ الكَنيسَة في هدُوء، ورغم غرابة الموقِفْ وصعُوبتُه عليه، لكنَّهُ لم يعُود لهذه الكَنيسَة مرَّة أُخرى.

تظهر عَظمة هذا الرَّجُل في بساطته وتسامُحُه مُنذُ الصِّغر، فعندما حكى لنا هذا الموقِفْ علَّق على ذلك قائلاً: " أنا قُلت له – لِلكاهِنْ – ماشي ... براحتك ... وأخذت بعضي ورجعت على البيت، لكنِّي ما رجعتش لهُ تاني ". فرغم أنَّهُ خدم القُدَّاس كامِلاً على المذبح بجِوار الكاهِنْ، لكِنَّهُ حُرِمَ مِنْ شَرِكَة الأسرار المُقدَّسة.

التَّلمَذَة الحقَّة

" وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيراً " (إش ٥٤: ١٣).

[اِختبِر مُرشِدك أوَّلاً بحِكمة وتجرِبة، لئلاَّ تقع عند مرِيض بدل الطَّبيب].

(القدِّيس يُوحنَّا الدَّرَجي)

رغم أنَّهُ كان يسكُنْ في كفر السَّنابسة، منُوف، لكنَّهُ تتلمذ على يدي القُمُّص أنطونيُوس إبراهِيم في منُوف، بل أنَّهُ اتَّخذهُ أب اعتِراف لهُ، وتعلَّم منهُ حُبْ الكَنيسَة وحرارة العِبادة. لذلك أعطاه تزكية الشُّمُوسيَّة – كما قُلنا – وبعدها انتظم معهُ في الخِدمة، وكان يُحبَّهُ كثيراً، واستمرت أواصِل المحبَّة تجمع بينهُما حتَّى اشترك القُمُّص بيشُوي السُّرياني في صلاة القُدَّاس ككاهِنْ مع أبيه الرُّوحي القُمُّص أنطونيُوس إبراهِيم مرَّات كثِيرة في كَنيسَة مارِجرجِس بمنُوف فيما بعد.

القُدوة المسيحيَّة

" لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا " (٢تس ٣ : ٩).

[اسنِدْ الضُّعفاء، وعزِّ صغيري النُّفوس، كيما تسندك اليمين الَّتي تحمل الكلّ].

(القدِّيس مار إسحق)

كان الشَّماس زكريَّا حريصاً كل الحِرْص على زرع الرُّوح المسيحيَّة بين أفراد الأُسرة، وكذلك غَرَسْ حُبْ الكَنيسَة والهيكل والمذبح في إخوتُه، وأراد أن يتلمذُوا على المذبح مُباشرةً، ولكي ما يكونُوا أصدقاء لِمذبح الرَّب، اجتهد جداً لِرسامة أخويه التَّاليين لهُ، التَّوم - مرقُس وبُولس - شمامسة. وعندما عَلَمْ أنَّ نيافة الأنبا بنيامين المُتنيِّح مُطران المُنوفيَّة الأسبق سيحضر لِقرية سدُود، منُوف، في الغد وسيُصلِّي القُدَّاس الإلهي، وفيه سيتم ترقية القس جُبرائيل بيشاي كاهن كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بسدُود لرُتبة التَّدبير (الإيغُومينوس)، فاستيقظُوا جميعاً باكراً واصطحب معهُ أخويه، وهُما في أتم استعداد لِنوال بَرَكة الشُّمُوسيَّة، فيحمل كُلٌّ منهُما التُّونية في يده، ويقطعُون الخطوات هرولة، وكأنَّهُمْ طائرين أو محمُولين على أذرُع غير بشريَّة، وهُمْ في قِمَّة الفرح والسَّعادة.

نبَّه على أخويه بالنُّوم المُبكِّر وتجهيز التُّونية الخاصَّة بكُلٍّ منهُما، وبالفعْل في الفجر استيقظُوا جميعاً مُتوجهين لِقرية سدُود، سيراً على الأقدام كالعادة، في مشوار قد يستغرق السَّاعة بلا كلل أو ملل، بل يُرافقهُمْ النَّشاط ويصطحبهُمْ الأمل. أثناء القُدَّاس تقدَّم الشَّماس زكريَّا لِسيِّدنا واستأذنهُ أن يرسم أخويه شمامسة، وعندما رأى جمال صوت الشَّماس زكريَّا، وإتقان حفظُه، وحلاوة رُوحُه، ورُوحانيَّة صلاتُه تعهَّدُه أن يهتم بأخويه، ويكُون إشبيناً لهُما، فيُسلِّمهُما الألحان والمردَّات ويُشجِّعهُما على حضُور القُدَّاسات، وأن يسلُكا بالرُّوح المسيحيَّة الحقَّة داخل الكَنيسَة وخارجها، فأجاب الشَّماس زكريَّا بالإيجاب، لِذلك وافق نيافته على رِسامتهِما شمامسة في ذلك القُدَّاس.

الزِّراعَة

" أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ " (**لا ٢٦: ٤ – ٥**).

كما سبق وقُلنا أنَّ أبيه كان فلاَّحاً بسيطاً، ومُنذُ أن نَقَلْ محل إقامته إلى كفر السَّنابسة، منُوف، كانت قطعة الأرض الَّتي اشتراها كبيرة عليه بمُفردُه، فكان يُعاونُه في زراعتها وفلاحتها وحَصَدْ محاصيلها ابنُه زكريَّا. ورغم أنَّهُ ليس هو الابن البِكْر (الثَّالث)، لكنَّهُ كان السَّاعد الأيمن لأبيه في أعمال الحقل المُتعبَة والمُجهدة جداً.

وسط المجهُود البدني الكبير الَّذي يبذُلُه الفلاَّح – خصُوصاً في حقله – لم ينسَى الشَّماس زكريَّا رُوحُه، فكان يُغذِّيها دائماً بالصَّوم الانقطاعي لساعات مُتأخِّرة جداً، تصل لِلنِّجمة في بعض الأصوام كصوم السَّيِّدة العذراء مريم، ويُنعشها دائماً بالمزامير الَّتي كان يحفظها ويُصلِّيها بعذُوبة صوت وحلاوة رُوح أثناء العمل، وبين الحين والآخر كان يتلذَّذ بترديد لحن منْ الألحان الكثيرة الَّتي كان يحفظها، فيُقدِّس العمل ويُطهِّر الجو المُحيط منْ حرُوب الشَّياطين، وكم كانت فرحة الفلاَّحين الَّذين يعملُون معهُ أو في الحقُول المُجاورة لهُ وهُمْ يعملُون مُستمتعين بصلواته وألحانه.

شجاعة في الحق

" لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ سَائِرٌ فِي وَسَطِ مَحَلَّتِكَ لِكَيْ يُنْقِذَكَ وَيَدْفَعَ أَعْدَاءَكَ أَمَامَكَ. فَلْتَكُنْ مَحَلَّتُكَ مُقَدَّسَةً " (**تث ٢٣: ١٤**).

" يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ وَيَحْفَظَ الأَثَمَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مُعَاقَبِينَ " (**٢بط ٢: ٩**).

لم تكُنْ هُناك آلات زراعيَّة لرفع المياه منْ التُّرَع إلى الحقُول (شفَّاط) كالموجُودة حالياً، بل كانت الأراضي تُروَى إمَّا بالرَّاحة (بفتح مجرى المياه منْ التُّرعة للحقُول مُباشرةً)، أو يتم رفعها بواسطة السَّاقية الَّتي يُديرها الحيوان. في مُوسم الزِّراعة جهَّز

زكريَّا أرضُه جيِّداً، فَحَرَثَهَا وخطَّطها وبَذَرْ البُذُور، ثُمَّ ركَّبْ النِّير فوق رقبة الثَّور وعلَّقهُ بالسَّاقية مُستعِداً لري أرضُه، وبدأ يُجهِّز الأرض لِلرَّي. وفي هذهِ الأثناء، أتى مُزارِع عُمدة القرية، وحلَّ ثور زكريَّا ثُمَّ ركَّبْ النِّير فوق رقبة ثور العُمدة وعلَّقهُ بالسَّاقية، لِكي ما يروي أرض العُمدة أوَّلاً، الَّتي لم يُكمِل تجهيزها بعد. وتلك حركة منْ المُزارِع لِكي يُعطِّل زكريَّا كي لا يزرع أرضُه قبل أرض العُمدة، كنُوع منْ المُضايقات، وشُهرة لِلعُمدة لِيكُون لهُ السَّبق في الزِّراعة وسط الفلاَّحين. عندما رأى زكريَّا ذلك لم يهاب الموقفْ، بل تقدَّم بكل شجاعة وإقدام وخلع النِّير عن رقبة ثور العُمدة ووضعهُ على ثورُه، وبدأ زكريَّا يروِي أرضُه بلا أي خوف منْ بطش العُمدة ولا سطوتُه. ومِنْ المعرُوف أنَّ عُمدة القرية في ذلك الزَّمان كان لهُ سُلطة كبِيرة على كل القرية، ولهُ سُلطان أن يُؤذِي أي أحد مهما إن كان.

فِكْر الرَّهبنة مُنذُ الصِّغَر

" وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (٢تي ٣: ١٥).

[الرَّاهِبْ هو ذَاكَ الَّذِي يستعِد لِيصِير مِثْل الملائكة بدُون هم، ويشُق عنهُ ثوب العالم].

(القدِّيس إكليماذُوس)

كانت فِكرة الرَّهبنة تُراوِدهُ مُنذُ الصِّغر، لكِنْ الفكرة كبرت ونضجت واختمرت في ذهنُه وعقلُه وقلبُه في سِنْ العشرين، وعندما أباح بذلك لوالديه اعترضا بشدَّة، فكيف يتركهُما وهو الابن المحبُوب لديهما، وأنَّهُ هو السند والعون لأبيه في الزِّراعة، المصدر الأساسِي لِدخل الأُسرة، فكان يصمُتْ وتُمر الأيَّام والشُّهُور ويُكرِّر نفس الكلام، فتكُون نفس الرُّدُود. فَقَالَ الشَّاب زكريَّا لأبيه: " اللي يحكُمْ بيني وبينك هو أب اعترافي، إحنا نحتكمْ بيه "، فوافق المقدِّس إسحق على ذلك، ذهبا للقُمُّص أنطونيُوس إبراهِيم كاهِنْ كَنِيسَة مارِجرجِس بمنُوف، أب اعترِاف الشَّماس زكريَّا،

الَّذي يعرِف عنهُ كل شيء، ويعرِف كل اشتياقات قلبُه لحياة الوِحدة والسُّكُون والخُلوة مع الله، فَقَالَ القُمُّص أنطونيُوس لِلمقدِّس إسحق: " أترُكُه يذهب إلى الدَّيْر "، أجَابَ المقدِّس إسحق: " لا، أترُكُه إزاي! دا بيساعدني في شُغل الحقل وفي تربية إخواتُه الصِّغار! "، رد الشَّاب زكريَّا: " أنا لا أُساعِد أحداً ".

عَلَمَ القُمُّص أنطونيُوس بخبرتِه تعسُّر الأمر، فأجَابَ بحكمة: " على العمُوم يا عم إسحق زكريَّا لسَّه صغيَّر وأمامُه الجيش، وبعد تأدية الخدمة العسكريَّة ربِّنا يدبر الأمر، ويكشِفْ لِينا ماذا سيحدُث ". هذا الرَّد أراح الطَّرفين، فعادا لِلبيت في سلام ومحبَّة كالعادَّة.

في القاهِرة

" لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُول إلَى مِصْرَ لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إلَى مِصْرَ وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضاً " (تك ٤٦: ٣ – ٤).

[لِتكُنْ عِندكُمْ هذِه علامة عظِيمة لِلنَّجاح، متى اقتنيتُمْ عدم الشَّهوة لِشيءٍ ما مِنْ أُمُور العالَم، لأنَّ هذا هو فاتِحة جميع مواهِبْ الله].

(الأنبا أبوللو)

أراد أن ينفك مِنْ الأُسرة رُويداً رُويداً، وينسلِخ مِنْ هذا الحُبْ العائلي، الَّذي يُقيِّدهُ في نِطاق الأُسرة والقرية فقط، فجمع حقيبتهُ وولَّى ظهرهُ لِلقرية الهادئة الجميلة، مُتجهاً إلى القاهرة. سَكَنْ في حي شُبرا مِصْر، وكان يُصلِّي في كَنيسَة الشَّهيدة دميانة، أرض بابا دبلو [١٠]، وخدم في هذه الكَنيسَة مع القُمُّص عبد المسيح الشِّربيني، وكان شيخاً وقُوراً شُجاعاً جداً، لا يهاب في الحق لُومة لائمْ، فانطبع ذلك على الشَّاب زكريَّا في حياتُه فيما بعد.

أخذ يبحث عن عمل، حتَّى توفَّق في العمل بشَرِكَة البطاطِين المِصْريَّة، والَّتي كان

[١٠] وهي الكَنيسَة الَّتي ظهرت فيها السَّيِّدة العذراء مريم سنة ١٩٨٦م.

مقرّها في حي رُوض الفرج. لم يكُنْ نزُولُه لِلقاهرة مِنْ قِبَل الصُّدفة، ولا سكنُه بشُبرا ضربة حظ، ولكنْ كل ذلِك كان يخضع لِتدبير العناية الإلهيَّة الَّتي تُحرِّك كل الأشياء معاً لِتؤُول في النِّهاية لِخير الإنسان، حسب خطَّة الله السَّابقة لِحياة كل أحد، كقول بُولس الرَّسُول: " **إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ. فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضاً نِلْنَا نَصِيباً مُعَيَّنِينَ سَابِقاً حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ** " (**أف ١ : ٩ – ١٢**).

تأقلم سريعاً على الجو الجديد الَّذي يعيشُ فيه، حيثُ وجد لذَّتهُ في الكَنِيسَة، ومسرَّته في ألحانها، وتسليتُه في الخدمة بجمعيَّة نهضة الملاك ميخائيل، بكَنِيسَة السَّيِّدة العذراء مريم برُوض الفرج، تحت إشراف المُرتِّل فرج عبد المسيح، وكانت هذه الجمعيَّة تضُم ملجأ أطفال وخِدمة الشُّمُوسيَّة، وكانت خدمة الشُّمُوسيَّة تتكوَّن مِنْ مجمُوعتين، كل مجمُوعة أربعة عشر فرداً شمَّاساً، كانت إحدى المجمُوعتين منُوطة بخدمة قُدَّاسات يوم الأحد، والأُخرى بخدمة قُدَّاسات يوم الجُمعة. كانت الجمعيَّة هي الَّتي تُوزِّع الشَّمامسة على كنائسْ حي شُبرا خاصَّةً، وكل القاهرة عامَّةً حسب الاحتياج. فيذهب كل شمَّاس في نوبتُه إلى مقر الجمعيَّة باكراً، ثُمَّ يدخُل الجمعيَّة يأخُذ تُونية وبطرشيل مُتجهاً إلى الميكرُوباص، الَّذي يستقلُّهُمْ إلى الكنائسْ الَّتي في حاجة إلى شمامسة. يخدم كل شمَّاس في الكَنِيسَة الَّتي تمَّ توزيعُه فيها، وبعد القُدَّاس يمُر عليهُمْ الميكرُوباص مرَّة أُخرى لِيجمع الشَّمامسة مِنْ الكنائسْ ويعُود بهِمْ لِمقر الجمعيَّة برُوض الفرج، فيُعيد كل شمَّاس التُّونية والبطرشيل لِمقر الجمعيَّة، وينطلِقُون لِمنازِلِهِمْ وهُمْ في قِمَّة السَّعادة والنَّشوة الرُّوحيَّة، مُنتظِرين الأسبُوع القادِم.

في هذه الفترة كان المعلِّم فرج عبد المسيح يُعطِيهُمْ حِصصاً في حِفْظ المردَّات والألحان، فاستلم الشَّماس زكريَّا منهُ ما ينقُصُه مِنْ ألحان ومردَّات، وكم كان يسعد الشَّعب بسماعِهِ وهو يُرتِّل إنجيل القُدَّاس بصوتُه الرُّوحاني الجميل، حتَّى كانت تتهافت الكنائِس لِلفوز بالشَّماس زكريَّا لِيُصلِّي معهُمْ أحد القُدَّاسات.

كان نظام الجمعيَّة توزيع الشَّمامسة على الكنائسْ على مدار العام، عدا أيَّام الأعياد، فتجتمع المجمُوعتان معاً ويُصلُّوا القُدَّاس مع المعلِّم فرج عبد المسيح سوياً. لذلك حَفَظْ هذا الجو الرُّوحي نفس الشَّماس زكريَّا كجنَّة مُغلقة، فلم تدُوسها ثعالبْ إبليس، ولم تُعكِّر صفوها طيُور – أفكار – الشَّياطين، كما استطاع أن يُغلِّف نفسُه ببوتقة خاصَّة أثناء العمل بشَركَة البطاطين المصْريَّة، فلم يُصادق أحداً منْ الأشرار، ولم يُزاملْ أحداً منْ أصحاب الهزار، وكانت الجَدِّيَّة طبعُه، والالتزام منهجُه، وحفْظ حدُود واحترام كل أحد مسلكُه. لذلك لم يستطعْ أحد أن يكسر هذا الحاجزْ الَّذي فرضهُ على نفسُه، ليجذبهُ إلى الحديث فيما لا يليق، أو سماع ما لا يطيق، ولم يجرُؤ أحداً أن يدعُوه لحضُور حفلة أو الذَّهاب إلى مسرح أو سينما، فاحتفظ وهو في قلب القاهرة ببساطة القرية، وحَفَظْ وهو في وسط الزَّحام هدُوء الرِّيف، واستمرَّ معهُ هذا الهدُوء والسُّكُون والصمت والبساطة حتَّى الدَّيْر.

الجُنْديَّة

" فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ " (٢تي ٢: ٣).

[إذا كُنت في موضعْ يُوجد فيه أعداء، أصير أنا جُندياً].

(الأنبا بيمنْ)

في سنْ الرَّابعة والعشرين منْ عُمرُه، التحق بالجيش المصْري، وكان مُتخلِّفاً عن دُفعته دُفعات، لذلك تمَّ تحويلُه إلى مُحاكمة عسكريَّة بتُهمة التَّهرُّب منْ الخدمة العسكريَّة، وأقل عقُوبة يأخُذها على هذا، هي إضافة فترة إضافيَّة يقضيها في الجيش، كعقاب على فترة تهرُّبه منْ تسليم نفسُه للخدمة العسكريَّة، لكنَّهُ أثناء المُحاكمة تكلَّم بكل شجاعة، وقَالَ: " يا أفندم أنا ما هربتش، أنا غيَّرت عنوان السَّكن، وإدارة الجيش بتُرسِل الاستدعاء لي على العنوان القديم (بهناي)، ولم

يصلني أي خطابات على العنوان الجديد (كفر السَّنابسة)، وإدارة الجيش لم تستدل على العنوان الحالي "، فاقتنعُوا بكلامُه، وطلبُوا منهُ أن يكتُبْ تعهُّداً على نفسه بتغيير محل الإقامة، فكتبهُ أمامهُمْ، وبذلك ألغُوا العقُوبة المفرُوضة عليه، وهي الفترة الزِّيادة، وقضى فترة التَّجنيد القانُونيَّة فقط، كما لو كان قد تقدَّم في ميعادُه مع زُملاؤُه. تمَّ توزيعُه على سِلاح القُوَّات البحريَّة، وكانت كتيبتُه في ميناء الإسكندريَّة. تميَّز بالالتزام ومحبَّة الجميع، فأحبَّهُ الجميع. لكنَّهُ احتفظ بنفس الخصُوصيَّة الَّتي كان يعيشُ بها في القاهرة.

ذَاتَ ليلة لاحظ القائد وجُود نُور خافتْ مِنْ مكان مبيت الجُندي زكريَّا، فتقدَّم ناحيتُه فوجد الجُندي زكريَّا قد أخرج صُورة للسَّيِّد المسيح والسَّيِّدة العذراء مريم، وأشعل شمعة أمام الصُّورة، وأخذ يُصلِّي مزامير الأجبية، وقف القائد خلفُه بُرهة بسيطة، فلم يشعُر به الجُندي زكريَّا لانشغالُه وتركيزُه الشَّديد في الصَّلاة، تركهُ القائد يُكمل صلاته ثُمَّ قَالَ لزُملائه: " بعد ما يُنهي الجُندي زكريَّا صلاته قُولُوا لهُ إنِّي عايزُه في المكتب "، بالفعْل بعد الانتهاء مِنْ الصَّلاة ذهب لمكتب القائد، الَّذي سألهُ:

القائد: ماذا كُنت تفعل؟ وما هي الصَّلاة الَّتي كُنت تُصلِّيها؟

الجُندي زكريَّا: إنِّي كُنت أُصلِّي مزامير الأجبية، ونحنُ لنا سبع صلوات نُصلِّيها على مدار اليوم، وأنا أصلِّي هذه المزامير بعد الانتهاء مِنْ فترة الخدمة الخاصَّة بي.

القائد: هل باقي إخوتك المسيحيين بيصلُّوا زيَّك؟

الجُندي زكريَّا: فيهُمْ وفيهُمْ.

القائد: طب يا ريت أنت تجمع كل المسيحيين وتصلُّوا كل يوم، وتكُون أنت الإمام ليهُمْ (يقصد قائد للصَّلاة حسب مفهُومُه)، ودي تُبقَى حاجة حلوة، زي ما المُسلمُون بيصلُّوا، أنتُمْ كمان تصلُّوا.

انتهز الجُندي زكريَّا هذه الفُرصة العظيمة وهذه السَّماحة الكريمة مِنْ القائد وشكَرَهُ، ثُمَّ قَالَ:

الجُندِي زكريَّا: طب لو سمحت لِي يا أفندم، إحنا عندنا كمان حاجة اسمها " قُدَّاس "، بنصلِّيها فِي الكَنيسَة كل يوم أحد وجُمعة، يا ريت حضرتك تُعطينا تصريح خرُوج لِصلاة القُدَّاس فِي الكَنيسَة.

وافق القائد أيضاً على طلبُه، وأعطى لكل المسيحيين الموجُودين تصريحاً مِنْ السَّادسة صباحاً حتَّى الثَّانية عشر ظُهراً. فكانُوا يخرجُون معاً للذِّهاب للكَنيسَة سوياً كقول المزمُور: " **فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ** " (**مز ١٢٢: ١**). كان يذهب إلى الكَنيسَة المرقُسيَّة بالإسكندريَّة لِيُصلِّي القُدَّاس بها، لكنْ هؤلاء الأصدقاء الثَّلاثة الَّذين كانُوا معهُ، لم يكونُوا جادِّين فِي حياتهِمْ الرُّوحيَّة، فقالُو لهُ: " لو ذهبت معنا للسِّينما، نذهب معك للكَنيسَة! "، فَقَالَ لَهُمْ: " أنا جاي أصلِّي، مش جاي أرُوح معاكُمْ "، فذهب الجُندِي زكريَّا لِلكَنيسَة، وأمَّا هُمْ فذهبُوا إلى حال سبيلهِمْ.

بعد القُدَّاس رجع الجُندي زكريَّا لِوحدتُه مُسرعاً، ويبدو أنَّ زُملاؤُه تأخَّرُوا عنهُ كثيراً، فسألهُمْ القائد: " أين كُنتُمْ؟ "، أجابُوه: " كُنَّا فِي الكَنيسَة مع الجُندي زكريَّا "، لذلك استحضر القائد الجُندي زكريَّا وسألهُ: " هل كان هؤلاء العساكر الثَّلاثة معك فِي الكَنيسَة؟ "، أجَابَ الجُندِي زكريَّا: " ما حصلش يا أفندم، ما راحُوش معايا ". كانت إجابتُه صادقة، و لم يهاب منهُمْ، فليس عليه فِي الحق ملامة، ولكنْ كل اللوم يقع عليهِمْ هُمْ الَّذين انطبق عليهِمْ قول الكتاب المُقدَّس: " **أَمَّا شَعْبِي فَقَدْ بَدَلَ مَجْدَهُ بِمَا لاَ يَنْفَعُ** " (**إر ٢: ١١**). وكان عقابِهِمْ الرَّادِع لَهُمْ منعهِمْ مِنْ الخرُوج مِنْ الوحدة مرَّة أُخرى، أمَّا الجُندي زكريَّا فتعظَّم فِي أعيُنْ القادة، لأمانته فِي الذِّهاب إلى الكَنيسَة حسب التَّصريح الَّذي حصل عليه، وصِدقُه فِي عدم مُجاملة العساكر والانسياق لِلكَذِب لِلدِّفاع عنهُمْ. وبذلك استمرَّ التَّصرِيح لهُ بالخرُوج كل يوم أحد لِلصَّلاة، ولكنْ بمُفردُه فقط. وبعد انتهاء فترة الخدمة العسكريَّة، لم تنتهِي علاقته بهؤلاء الأصدقاء، بل استمرت، وكانُوا يزورونُه فِي المنزل وهُمْ فِي غاية السَّعادة والسُّرُور، ويقولُون لهُ: " أنت علَّمتنا الصَّلاة، وعرَّفتنا ربِّنا ".

في أحد أيّام الآحاد أخذ تصريحاً بالخرُوج للصَّلاة كالعادة، وذهب إلى الكَنيسَة المرقُسيَّة بالإسكندريَّة مُبكّراً جداً، فوجد أنَّ الَّذي سوف يُقدِّس القرابين هو قداسة المُتنيِّح البابا كيرلُس السَّادس، تقدَّم نحو الهيكل وسجد أمام المذبح، وبعد الصَّلاة تقدَّم لأخذ بَرَكة قداسته، ثُمَّ قدَّم لهُ التُّونية والبطرشيل فرشمهُما لهُ، وبدأ يخدم القُدَّاس مع قداسته داخل الهيكل، وبعد كل قطعة يُصلّيها قداسته، كان يُشير للشَّماس زكريَّا – دُونَاً عن كل الشَّمامسة الموجُودين – أن يُصلّي مرد الشَّماس، حتَّى أنَّهُ صلَّى كل مردَّات الشَّماس داخل الهيكل في هذا القُدَّاس، وفي حقيقة الأمر لا نعلم ما هو السبب الَّذي دَفَعْ البابا كيرلُس ليفعل هذا الأمر، هل هو نقاوة قلب الشَّماس زكريَّا، الَّتي كَشَفَهَا الله لقداسة البابا؟ أم جمال ألحانه وعذُوبة صوتُه؟ أم التزامُه وهو مُجنَّد أن يذهب للكَنيسَة؟ أم أنَّ قداسة البابا كان قد عرف بالرُّوح أنَّ هذا الجُندي سوف يترهَّبْ؟ لذلك كان فرحاً به، مسرُوراً لوجُودُه معهُ في القُدَّاس، أم أنَّ كل الأسباب السَّابقة معاً؟ المُهم كان هذا بمثابة تكريم مِنْ السَّماء ومِنْ قداسة البابا كيرلُس السَّادس لجَدِّيَّة الشَّماس الجُندي زكريَّا الرُّوحيَّة.

المُكافأة

" يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ عَلَيَّ "
(٢صم ٢٢: ٢١؛ مز ١٨: ٢٠).

كان مِنْ الأوائل في النِّيشان، أراد القائد أن يُكرِم الجنُود المُجتهدين، فنظَّم لهُمْ رحلة ترفيهيَّة إلى مرسَى مطرُوح. استأذن الجُندي زكريَّا مِنْ القائد أن يذهب إلى الإسكندريَّة لشراء بعض مُستلزمات الرِّحلة، فاشترى ساعة وبنطلُون وقميص، وفي اليوم المُحدَّد للرِّحلة تركُوا الوحدة وتوجَّهُوا لمحطة الإسكندريَّة – حيثُ مكان التَّجمُع – لأخذ قطار مرسَى مطرُوح، وفي هذه الأثناء أتت إشارة للقائد بالعودة سريعاً للوحدة لمرُور تفتيش على وحدتهِمْ، فعادُوا بسُرعة، فكان يحكي هذه القصَّة ويختمها بقوله: " ورجعنا تاني ... ويا فرحة ما تمّت ".

الشَّجَاعَة

" لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ. قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي " (إش ٤١: ١٠).

[عندما يرى إنسان أنَّهُ في خطر فُقدان نفسُه، فهو لا يحتاج أن يسأل نصيحة. جيِّد أن يسأل عن الأفكار الخفيَّة، ويترُك للشَّيخ أن يختبِرها، أمَّا الأخطاء الواضِحة فلا داعِي أن تسأل بخصُوصها، بل اقطعها في الحال].

(الأنبا بِيمِنْ)

كان يتم غلق الميناء ليلاً بطوق حديد أشبه بالسِّلسِلة الطويلة. فَقَالَ القائِد لِلعرِّيف زكريَّا:

القائد: اغلق أنت ومَنْ معك السِّلسِلة ليلاً.

العرِّيف زكريَّا: أنا مش ها أرُوح.

القائد: أنت بتعصَى الأوامِر!

العرِّيف زكريَّا: لا يا أفندم، لأنَّ هذا شُغل مدنيين، وعمل زائِد وليس مِنْ طبيعة عمل المُجنَّدين.

القائد: أنت مُجنَّد في الميناء، ويجِبْ عليك غلق الميناء.

العرِّيف زكريَّا: هذا العمل يحتاج لِتدرِيب خاص (تدرِيب فرقة بحر)، ونحنُ لم نحصُل عليه، يُبقَى مش مِنْ حقِّي أعمِل كِده.

القائد: أنت هُنا تُنفِّذ الأوامِر حتَّى لو كُنت ها تموت.

العرِّيف زكريَّا: أموت في الحرب مش في السِّلم، أموت وأنا بأدافِعْ عن الوطن.

القائد: أنا ها أحوِّلك لِمُحاكمة عسكريَّة.

العرِّيف زكريَّا: وأنا متظلِّم ومدوَّر نفسِي مكتب.

ذهب العرِّيف زكريَّا لأركان حرب قائِد القُوَّات البحريَّة كُلِّها في المنطِقة،

وكعادته تقوَّى بسلاح الصَّلاة، وتشدَّد بعلامة الصَّليب المُحيي، ثُمَّ دخل المكتب وبعد أداء التَّحية العسكريَّة بدأ يُقدِّم شكواه للقائد، وقَالَ لهُ فيما قَالَ: " هُمَّا دلوقتي سيادتك عايزينا نقفل السِّلسلة، وقبل كده فيه واحد مدني دخل ومات، فإذا أحد منِّنا دخل ومات، مَنْ المسؤول عنهُ؟ ". لم يكُنْ القائد على عِلْم بقصَّة المدني الَّذي مات، فتأكَّد منهُ بتكرار السؤال: " هو فيه حد مات قبل كده؟ "، أجابهُ العرِّيف زكريَّا: " أيوه يا أفندم "، فَقَالَ لهُ القائد: " امشي أنت الآن وأنا سوف أتدبر الأمر ". وبعد بحث الموضُوع والتَّأكُد مِنْ صِدق شكوى العرِّيف زكريَّا، أصدر القائد أمراً بإعفاء الكَتيبَة كُلَّها مِنْ غلق السِّلسلة، وأحال الأمر برُمَّته إلى المدنيين.

العودة إلى العمل

" أَرَأَيْتَ رَجُلاً مُجْتَهِداً فِي عَمَلِهِ. أَمَامَ الْمُلُوكِ يَقِفُ. لاَ يَقِفُ أَمَامَ الرَّعَاعِ " (أم ٢٢: ٢٩).

[اغصِبْ نفسك على العمل، وخوف الله يحلُّ عليك].

(الأنبا إشعياء)

مع إشراقة شمس الأوَّل مِنْ يناير عام ١٩٦٥م، كان الشَّاب زكريَّا قد أنهى كل علاقته بالخدمة العسكريَّة، وقبل التحاقه بالخدمة العسكريَّة كان قد عمل حِفْظ وظيفة في عمَلُه بشَركَة البطاطين المصْريَّة، فعاد إليها مرَّة أُخرى بدءً مِنْ يناير عام ١٩٦٥م، واستمرَّ بها حتَّى نهاية عام ١٩٦٨م، وعاد لخدمته في جمعيَّة الملاك، وخدمة الشُّمُوسيَّة مع المعلِّم فرج عبد المسيح. وكان يُواظِبْ على حضُور مُحاضرات الأنبا شنُوده أُسقُف التَّعليم آنذاك (قداسة المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث فيما بعد)، في كاتدرائيَّة الأنبا رويس بالعباسيَّة. وذات مرَّة حضر الاجتماع المُتنيِّح نيافة الأنبا تيموثاوُس مُطران الدَّقهليَّة، فطلب منهُ الأنبا شنُوده أن يبدأ بَرَكة الاجتماع، فوقف الأنبا تيموثاوُس وبارك الحاضرين بالصَّليب، وهو يقول: **[أمَّا شعبك فليكُنْ بالبَرَكَة أُلُوف أُلُوف، وربوات ربوات]**، وبعد البَرَكَة بدأ الأنبا شنُوده إلقاء العِظة على الحضُور. وكان يحكي هذه

القصَّة عندما يتأمَّل في جمال كَنيستَنا، فيُعلِّق أنَّ الأنبا شنُوده كان مُتَّضعاً، فطلب البَرَكَة مِنْ المُطران الأكبر منهُ سناً، وكذلك الأنبا تيموثاوُس كان مُتَّضعاً، فجلس ليسمع العِظة مِنْ فم الأُسقف الأصغر منهُ، لأنَّ الله أعطاه موهبة التَّعليم.

عَودة رُفَات مارِ مرقُس

" الْقدِّيسُونَ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ وَالأَفَاضِلُ كُلُّ مَسَرَّتِي بِهِمْ " (مز ١٦: ٣).

[فإذا احتفظنا بذكرَى سيرة آبائنا القدِّيسين، فسنتغيَّر نحنُ أيضاً عن عادات العلمانيين، ونأخُذ سيفاً مِنْ نُور في طُرُقِهِمْ، تاركين وراءنا ما قد مضى، مُقتفين آثارِهِمْ الَّتي لا يُمكنْ أن نضل، مُتممين أحكام المسيح ووصايا الرَّهبنة الملائكيَّة، الَّتي تُؤدِّي بنا إلى الله].

(الأنبا بفنُوتيُوس تلميذ الأنبا مقار)

تناقلت الإذاعة خبر عودة رُفات كارُوز الدِّيار المِصْريَّة مارِ مرقُس عصر يوم الإثنين المُوافق ٢٤ يونيه ١٩٦٨م، ١٧ بؤونة ١٦٨٤ش، وكان ميعاد وصُول الطَّائرة المُعلَنْ هو الخامسة مساءً، فذهب الشَّماس زكريَّا قبل ذلك بكثير، وظلَّ مُنتظِراً عودة حبيبُه وكارُوزنا العظيم مارِ مرقُس، مع آلاف الأقباط مُحبِّي شفيع كُرسي الإسكندريَّة. ولكِنْ الوقت تأخَّر وطال انتظارهِمْ، فظلَّ الشَّماس زكريَّا ثابتاً في موضعه، مُنتظِراً بشوق وحنين عودة الرُّفات المُقدَّسة، وبين الحين والآخر تُرفرِف أعيُنهُمْ نحو السَّماء لتلتقط طائرة الكارُوز، ولكِنْ الانتظار طال حتَّى ما بعد الحادية عشرة مساءً، حيثُ هبطت طائرة خاصَّة كانت تحمِل فيها أكبر بَرَكَة لمِصْر كُلِّها، وهي رُفات حبيبنا مارِ مرقُس الرَّسُول، وبمُجرَّد وقُوف الطَّائرة رأى الشَّماس زكريَّا بعينيه كيف همَّ قداسة المُتنيِّح البابا كيرلُس السَّادس بسُرعة يقطع درجات سُلَّم الطَّائرة مُهرولاً كشاب صغير، وهو الشَّيْخ الكبير، ويهبط وسط ألحان الشَّمامسة وتصفيق الشَّباب وزغرُوطة السَّيِّدات، وهو يحمِل فوق كَتِفُه صُندُوق الرُّفات المُقدَّسة. ثُمَّ عاد الشَّماس زكريَّا لِسكنِه تغمُرُه السَّعادة، لأنَّهُ ملأ عينيه برُؤية صُندُوق الرُّفات المُقدَّسة.

زِيارتُه لأُختِه

" هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً " (مز ١٣٣: ١).

اعتاد الشَّماس زكريَّا أن يذهب مع أخيه الأكبر الأرشيدياكُون فرج وأخيه لبيب لِزيارةِ أُختِهُمْ (أُم يُوسُف)، في قرية كفر السَّنابسة بعد العيد لِيُعيِّدُوا عليها، ويأخُذُون معهُمْ الدُّف ويقضُون اللَّيْل في الصَّلاة والتَّسبيح بصوت عالي، فيجتمع الجيران أمام البيت وداخلُه، يستمتعُون بأصواتِهِمْ الملائكيَّة ونغماتِهِمْ العذبة، ثُمَّ يُرتِّلُون الألحان الكبيرة بالدُّف، ويكُون بعضها فرادي والآخر بطريقة المُرابعة، مِثْل: مرد الإبركسيس الكبير، لحن " μεγαλοτ " " رئيسُ الكهنة الأعظم "، افرحي يا مريم، أيُّها الرَّبُّ إله القُوَّات، أمين إسباتير الكبيرة. أمَّا الشَّماس زكريَّا فكان يتميَّز سنوياً بلحن " η αγαπη " " محبَّة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد " فردياً، فيقضي الجيران أُمسيَّة رُوحيَّة جميلة جداً، لذلك كانُوا ينتظرُون العيد لكي ما يستمتَّعُوا بهذا الفريق الرُّوحي، حتَّى أنَّ بعضُهُمْ علَّق على ذلك قائلاً: " لقد حوَّلتُمْ البيت إلى كَنيسَة ".

عيد الأُم

" فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ أَكْرَمَ الأَبَ فِي الأَوْلاَدِ وَأَثْبَتَ حُكْمَ الأُمِّ فِي الْبَنِينَ ... وَمَنِ احْتَرَمَ أُمَّهُ فَهُوَ كَمُدَّخِرِ الْكُنُوزِ " (سي ٣: ٣ – ٥).

مع حلُول عيد الأُم في ٢١ مارس مِنْ كل عام، كان الشَّاب زكريَّا وهو في العشرينات والثَّلاثينات مِنْ عُمرُه لهُ طقس خاص ينفرِد به عن كل إخوتُه وكل شباب القرية، ولا نُبالِغ إذا قُلنا أنَّهُ طقس ينفرِد به مُطلقاً. وحيثُ أنَّ الإنسان القروي بسيط بطبعه، فيجلس على دكَّة خشب أو مصطبة مِنْ الطِّين، أو حتَّى يجلس على الأرض بلا كُلفَة أو تذمُّر. لكِنْ الشَّاب زكريَّا في هذا اليوم تحديداً كان يبحث عن أفخم كُرسي في المنزِل، ويُحضِرهُ ويضعهُ في مُنتصف المندرة [١١]، ثُمَّ يُجلِس والدتُه على الكُرسي

---

[١١] حُجرة استِقبال الضُّيُوف، وهي أهم حُجرة في البيت الرِّيفي.

ويضع يديها على رُكبتيها، ثُمَّ يُحضِر كُرسي خشب صغير، ويضع رِجليها على هذا الكُرسي، أمَّا هو فيركع على رُكبتيه على الأرض أمام والدتُه، ثُمَّ ينحني يُقبِّل قدمي والدتُه، وهو يقُول لها: " كل سنة وأنتِ طيِّبة يا أُمِّي "، ثُمَّ يُخرِج مِنْ جيب جلبابُه البلدي (الفلاَّحي) ورقة يكُون قد كتب عليها ما يُشبه قصيدة الشِّعر الحُر، أو ما يُسمَّى النَّثْر المشعُور، أو الشِّعر المنثُور، وهي كلمات تحمِل الشَّوق والحُبْ لوالدتُه، واللهفة لرُؤيتها، والتَّمتُّع بحلُو حديثها، كأنَّهُ في غُربة طويلة، أو أتٍ مِنْ سَفَرٍ بعيد، والعرفان بالجميل لِعظيم صنيعها معهُ ومع إخوتهُ، والشُّكر لها على جزيل خدماتها لَهُمْ، ثُمَّ يُمطِرها بكلمات الثَّناء والمديح، ويختمْ حديثُه بصالِح الدَّعوات وأطيب الأُمنيات لها بطُول العُمر وموفُور الصِّحة والعافية، ثُمَّ يغسِل قدميها ويُقدِّم لها الهديَّة.

الخطُوبة

" وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَد. وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. أَخْطُبُكَ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ " (**هو ٢: ١٩ – ٢٠**).

بين الحِين والآخر، كان الشَّاب زكريَّا يُصرِّح لأُسرتُه برغبتِه في الرَّهبنة، فكانُوا يعترِضُون على ذلك بشدَّة، ولم تفلح أي مُقترحات مِنْ الشَّاب لإقناع الأُسرة بالمُوافقة والسَّماح لهُ بالذِّهاب لِلدَّيْر. أراد الوالِد أن يضع حداً لهذا الأمر، فضغط عليه لِقبُول فِكرة الزَّواج، وأمام إصرار الأُسرة ولأجل الطَّاعة قَبِلْ فِكرة الخطُوبة، لكنَّهُ اشترط على الأُسرة قائلاً: " أنا ها أمشِي في موضُوع الخطُوبة ده علشان خاطركُمْ، ولو ما تَمِّش يُبقَى خلاص "، ويقصِد بذلك أنَّهُ سيقطع مشيئتهُ إرضاءً لِرغبة الأُسرة، ولكِنْ إذا فشلت الخطُوبة سيكُون ذلك إعلاناً مِنْ الله بعدم المُوافقة على الزَّواج، ويتركُونهُ لِحال سبيلُه. فوافقت الأُسرة مبدئياً على هذا الأمر لِقناعتِهِمْ أنَّ فترة الخطُوبة ستكُون قصِيرة، وسيتم الزَّواج سرِيعاً، وبذلك ينتهِي نِهائياً موضُوع الرَّهبنة.

بدأت الأُسرة في البحث عن عرُوس مُناسِبة لابنهُمْ المحبُوب زكريَّا، وبالفعْل تمَّ الاتِفاق على فتاة مُعيَّنة. جهَّز الأب والأُم كل شيء اِستِعداداً لِموضُوع الخطُوبة، ثُمَّ

أعلنا أنَّهُما في الصَّباح سيذهبا لِخُطبة فُلانة لهُ، فَصَمَتَ. ثُمَّ قَامَ الجميع لِلنَّوم، ودخل الشَّاب زكريَّا غُرفتُه وأشعل الشَّمعة أمام الأيقُونة كعادته، وقضى ليلتهُ ساهراً في الصَّلاة، يُجاهد مع حبيبُه يسُوع المسيح في صلاة ودُمُوع ومِيطانيات طُوال اللَّيْل، يطلُبْ مِنْ الرَّب أن يُدبِّر الأمر حسب مسرَّته وإرادته.

في الصَّباح قَالَ والدُه المقدَّس إسحق: " يا ابني أنت ما نمتش طُوال اللَّيْل "، أجابهُ الشَّاب زكريَّا: " واحد رايح يخطُبْ وينام! ". أي أنَّ هذا الأمر لأنَّهُ على غير رغبته قد قلق منامُه، وطار النُّعاس مِنْ مُقلتيه، فلم تذُق عيناهُ النَّوم، وبالفعْل كانت استجابة السَّماء سريعة لِدُمُوع اللَّيْل وتنهُداتُه، فحدث في الأمر شيئاً جعل الأب والأُم يعدلا عن رأيهما، و لم يذهبا كما اتفقا بالأمس، وبذلك لم تتم الخطُوبة.

حِلْم الأُم

" فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ " (**تك ٤١: ٢٥**).

" يَقُولُ اللهُ وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤىً وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَماً " (**أع ٢: ١٧**).

أراد الشَّاب زكريَّا أن ينطلق إلى البرِّيَّة حسب الاتفاق السَّابق مع والديه، لكنَّهُما لِشدَّة حُبَّهُما لهُ لم يُوافقا أيضاً على ذلك. وفي إحدى اللَّيالي حلمت الأُم حُلماً وقصَّتهُ على أُختها مريم [١٢]، فقالت السَّيِّدة رُوزة لأُختها: " حلمت أنَّ سيِّدة ذات طلعة بهيَّة وهيئة نُورانيَّة، أتت لِزيارتي ومعها خمس زُجاجات زيت، الأربع زُجاجات هُمْ زيت، أمَّا الخامسة فكانت فارغة، ولا أعرف معنى لهذا الحُلم "، فقالت لها أُختها مريم: " تفسير هذا الحُلم أنَّ الأربع زُجاجات الملآنين هُمْ أبناءك الأربعة: فرج، لبيب، بُولس، مرقُس، مِنْ نصيبك ومتعمرين بالزَّيْت، أمَّا الخامسة الفارغة، فهي زكريَّا،

[١٢] الأرملة العابدة السَّابق ذكرها.

سبيها ربِّنا يملأها بمعرفتُه، ولا تقف في طريقُه علشان دا مِشْ مِنْ نصيبك ".

وعندما قصَّت الأُم هذا الحُلم على الشَّاب زكريَّا، قَالَ لها: " الأربع زُجاجات الزَّيْت هُمْ لإخوتِي، فأين زُجاجتِي أنا؟! "، وكان يقصد بذلك أنَّهُ ليس لهُ مكان معهُمْ ولا نصيب بينهُمْ، كقول إرميا النَّبي: " **نَصِيبِي هُوَ الرَّبُّ قَالَتْ نَفْسِي مِنْ أَجْلِ ذلكَ أَرْجُوهُ. طَيِّبٌ هُوَ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يَتَرَجَّوْنَهُ لِلنَّفْسِ الَّتِي تَطْلُبُهُ. جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتِ خَلاَصَ الرَّبِّ** " (**مرا ٣: ٢٤ – ٢٦**). كان هذا الحُلم بمثابة مِسْك الختام لحياة الشَّاب زكريَّا في العالم، وكأنَّ الفخ قد انكسر، والقيد قد سقط، فخرج مُتهلِّلاً مع داوُد النَّبي: " **آهِ يَا رَبُّ لأَنِّي عَبْدُكَ. أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ. حَلَلْتَ قُيُودِي. فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو. أُوفِي نُذُورِي لِلرَّبِّ مُقَابِلَ شَعْبِهِ فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي وَسَطِكِ يَا أُورُشَلِيمُ** " (**مز ١١٦: ١٦ – ١٩**).

الإقْرَار

" **وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ فَقَالُوا كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ** " (**خر ٢٤: ٧**).

عند سؤالُه عن ذكرياتُه عن هذه الفترة، وكيف خرج مِنْ حُضْن الأُسرة، بدأ حديثُه بكلمة في غاية القُوَّة، فَقَالَ: " الواحد في السِّنين دي – في الأيَّام دي بالذَّات – كُنت حاسِسْ بيمين ربِّنا بتعمل معايا بكل قُوَّتُه. حقَّاً، لا يستطيع أي شاب أن يخرُج مِنْ حُضْن الأُسرة ودِفء المشاعر الأُسريَّة ويذهب للرَّهبنة، إلاَّ إذا كانت هُناك قُوَّة رُوحيَّة خفيَّة تُؤازِرُه، ونعمة سمائيَّة تسندُه ". وعندما أراد الذَّهاب إلى الدَّيْر للرَّهبنة، قَالَ لهُ أحد الأصدقاء: " أنَّ رُؤساء الأديُرة لن يقبلُوا أحداً إلاَّ إذا كان معهُ شهادة بمُوافقة الأب والأُم "، فرجع للمنزل وقَالَ لهُما: " أنا عايز أرُوح أترهبِنْ، بس مش ها ينفعْ إلاَّ بموافقتكُما "، فكتبا لهُ إقرار بالمُوافقة.

طَمُوه

" وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ " (أع ١٧: ٢٦).

كان في نفس قريته شاب لم تكُنْ الرَّهبنة دعوتُه، لذلك لم يُكمل حياتُه بالدَّيْر ورجع لبلدته، فتقابل مع الشَّاب زكريَّا، وأخذا يتحادثان ويتسامران عن الدَّيْر والرُّهبان والرَّهبنة والمعيشة وخلافُه مِنْ أسرار وطقُوس الحياة الرَّهبانيَّة. وفي نهاية الحديث قَالَ هذا الأخ للشَّاب زكريَّا: " أنا ها أرشدك لراهبْ تتلمذ على يديه، وهو سيُزكيك للدَّيْر المُناسبْ لك فيما بعد، وهو قُدْس القُمُّص أغاثُون السُّرياني، في دَيْر أبي سيفين، بطموه، جيزة ".

في طَمُوه

في عام ١٩٦٩م ذهب إلى إدارة شَركَة البطاطين المصْريَّة، الَّتي كان ما يزال يعمل بها بالقاهرة، وقدَّم استقالتُه وسط دهشة زُملاؤُه ورفض مُديريه، لكنَّهُ أصر على الاستقالة، وخرج مِنْ مقر الشَّركَة وكأَنَّهُ أزاح أكواماً مِنْ الرِّمال مِنْ فوق كتفيه. توجَّه إلى طمُوه وتقابل مع القُمُّص أغاثُون السُّرياني، الَّذي أُعجبَ به أجَلْ إعجاب، لِمَا رآه فيه مِنْ حُسْن السِّيرة والسَّريرة ونقاء القلب وطهارة الفكْر، وأشواق قلبُه الحارَّة نحو الله، والرَّغبة الجادَّة في المعيشة في الحضرة الإلهيَّة. وكان القُمُّص أغاثُون السُّرياني قد ذاع صيتُه في ذلك الوقت، بأَنَّهُ يحتضنْ المُكرَّسين وراغبي الرَّهبنة، ويختبرهُمْ بطُرُق عدَّة، ومَنْ يُظهر جدِّيتهُ يُرسلهُ لنيافة الأنبا ثاؤفيلس أُسقُف ورئيس دَيْر السُّريان ليُرهبنهُ بالدَّيْر العامر (١٩٤٨/٧/٢٥م – ١٩٨٩/١٢/٥م)، وكان قد سبقهُ للدَّيْر المُتنيِّح القُمُّص أبادير السُّرياني (١٩٦٩/٩/٢٨م – ٢٠١١/٣/٢١م)، والقُمُّص مكاريُوس السُّرياني – أطال الله حياتُه – وكذلك نيافة الأنبا ويصا مُطران البلينا – أطال الله حياتُه – وتقابل هُناك مع القُمُّص باسيليُوس السُّرياني – أطال الله حياتُه –، ومكثا معاً في طمُوه حوالي ستَّة شهُور، قبل ذهاب القُمُّص باسيليُوس للدَّيْر ورهبنتُه في ١٩٧١/٤/٢م، بيد المُتنيِّح نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وكذلك المُتنيِّح القُمُّص عبد

السَّيِّد الأنبا بُولا، وغيرِهِمْ الكثيرين.

حِلْم الأُسقُف

" فَقَالَ اسْمَعَا كَلاَمِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْحُلْمِ أُكَلِّمُهُ " (عد ١٢: ٦).

ذات مرَّة رأى الأنبا أغابيُوس أُسقُف ديرُوط رُؤيا، يقُول لهُ فيها شخص غريب أنَّ في دَيْر أبي سيفين بطمُوه، عند القُمُّص أغاثُون السُّرياني شاب شمَّاس مثالي، أحضِرُه للخِدمة معك. وبعد فترة كان أحد الشَّباب الخُدَّام مِنْ إيبارشيَّة ديرُوط في خِلوة رُوحيَّة بدَيْر أبي سيفين بطمُوه، وبطبيعة الحال تقابل وتعامل مرَّات كثيرة مع الأخ زكريَّا، فأُعجِبَ به كثيراً. وعندما رجع إلى ديرُوط تقابل مع الأنبا أغابيُوس وقَالَ لهُ: " أنَّ الأخ زكريَّا الموجُود في دَيْر أبي سيفين بطمُوه مع القُمُّص أغاثُون السُّرياني، شاب شمَّاس، خادِم حقيقِي، سيكُون عوناً وسنداً لنِيافتِكُمْ في الخِدمة، وهو مُناسِبْ جداً لطبيعة الحياة والخِدمة في وسط الصَّعيد ".

تأكَّد الأنبا أغابيُوس أنَّ هذهِ الرؤيا الَّتي رآها لم تكُنْ خِداعاً مِنْ الشَّياطين، ولا حرباً منهُمْ، بل هي رِسالة سمائيَّة، ودعوة إلهيَّة خاصَّة لِلأخ زكريَّا للعمل في حقل الرَّب ككاهِنْ مشرطن.

لم يكُنْ الأنبا أغابيُوس حتَّى الآن يعرِف الأخ زكريَّا، فلم يتقابل معهُ مُطلقاً، ولا حتَّى خاطبهُ هاتِفياً، لكنَّهُ أرسل خطابين هُما كلمات مُختصرة، لكنَّها مُعبِّرة جداً، فهي أشبه بالرَّسائل التِّلغرافيَّة، حيثُ كتب لِلقُمُّص أغاثُون السُّرياني: " لقد أخذنا إذن البابا كيرلُس السَّادِس لِرسامة كهنة بتوليين، لذلك فنحنُ نستأذنكُمْ ونأخُذ الحِلْ مِنْ قُدسُكُمْ، بالسَّماح لِلأخ زكريَّا لِنوال نعمة الكهنُوت، ليخدِم ككاهِنْ مُتبتِّل معنا في ديرُوط، وأنَّنا نأخُذُه بَرَكَة وذِكرَى مِنْ قُدْسُكُمْ ". ثُمَّ أرسل الخِطاب الآخر لِلأخ زكريَّا كتب فيه: " يا أخ زكريَّا، الله يدعُوك لِلخِدمة "، وكان ذلِك في بداية عام ١٩٧١م.

الدَّعْوَة الكهنُوتيَّة

" وَأُقِيمُ لِنَفْسِي كَاهِناً أَميناً يَعْمَلُ حَسَبَ مَا بِقَلْبِي وَنَفْسِي وَأَبْنِي لَهُ بَيْتاً أَميناً فَيَسِيرُ أَمَامَ مَسِيحِي كُلَّ الأَيَّامِ " (١صم ٢: ٣٥).

" وَذلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحاً أَيْضاً إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ " (عب ٧: ١٥).

سبق أن أشرنا إلى مكانة الأخ زكريًّا في قلب وعقل القُمُّص أغاثُون السُّرياني، حتَّى أنَّهُ رفض تزكيتُه لدَيْر السُّريان، وعندما وصل ليد قُدسه خطاب نيافة الأنبا أغابيُوس تضايق جداً، لأنَّهُ لا يستطيع الاستغناء بسهُولة عنهُ، كما أنَّ فكرة الكاهنْ المُتبتِّل لم تكُنْ ترُوق لقُدسه. لذلك بدأ يتكلَّم معهُ بطريقة مُتوارية، كما لو كان يتكلَّم عن شخص آخر غير الأخ زكريًّا، فَقَالَ القُمُّص أغاثُون: " شُفت يا أخ زكريًّا البدعة

الجديدة اللي عايزين يعملُوها، عايزين يرسمُوا شباب كهنة مُتبتِّلين للخدمة في العالم وسط النَّاس "، قَالَ لهُ هذا وغالباً القُمُّص أغاثُون لم يكُنْ على علم أنَّ نيافة الأنبا أغابيُوس كان قد أرسل خطاباً آخر للأخ زكريًّا بنفس الموضُوع، فأجابهُ الأخ زكريًّا بكل وضُوح: " مِشْ بدعة ولا حاجة، وأنا ها أرُوح أخدِم في ديرُوط، يعني ها أرُوح "، حاول القُمُّص أغاثُون إقناعُه بالعدُول عن رأيُه، فأصرَّ الأخ زكريًّا على ذلك، فَقَالَ لهُ القُمُّص أغاثُون: " بُكره الأيَّام ها توريك ... بُكره الأيَّام ها تبيِّن لك ". وفسَّر لنا أبونا بيشُوي السُّرياني هذه الكلمة قائلاً: " أصل أبونا أغاثُون السُّرياني كان بيحبني جداً، وكان يخاف عليَّ جداً، لذلك كان فاكر إنِّي لو طلعت مِنْ تحت إيدُه ها أضيع، بينما القُمُّص أغاثُون كان يقصد بذلك أنَّكَ يا أخ زكريًّا لن ترتاح في الخدمة الكهنُوتيَّة ". وكان القُمُّص أغاثُون مُحق في ذلك، فهو بخبرته يعلم طبيعة الأخ زكريًّا الَّتي تميل للهدُوء والسُّكُون والوحدة، ولا يستهويه التَّواجُد في تجمُعات الشَّعب والغوص في مشاكل الخدمة الاجتماعيَّة والأُسريَّة، حيثُ

أنَّ طبيعته تميل للطَّابعْ الرَّهباني التَّوحُدي النُّسْكي، أكثر منْ الطَّابعْ الكهنُوتي الخَدَمي.

لكنْ هذه الكلِّمة أثَّرت في نفسيَّة الأخ زكريَّا كثيراً، و لم ينساها للقُمُّص أغاثُون، وظلَّ يتذكَّرها حتَّى بعد ما أخذ نعمة الكهنُوت، ورجع إلى طمُوه خصِّيصاً لِيُصلِّي بها قُدَّاس، ويُؤكِّد للقُمُّص أغاثُون أنَّهُ مُناسبْ لنعمة الكهنُوت.

مع الأنبا أغابيُوس

" وَأَمَّا منْ جهَة الأَمْوَات إِنَّهُمْ يَقُومُونَ أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَيْفَ كَلَّمَهُ اللهُ قَائلاً أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. لَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاء " (مر ١٢: ٢٦ – ٢٧).

" وَانْتَخَبَا لَهُمْ قُسُوساً فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ ثُمَّ صَلَّيَا بِأَصْوَامٍ وَاسْتَوْدَعَاهُمْ للرَّبِّ الَّذي كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ " (أع ١٤: ٢٣).

في يوم ٩ مارس سنة ١٩٧١م، المُوافق ٣٠ أمشير ١٦٨٧ش، تناقلت وسائل الإعلام المرئيَّة والمسمُوعة والمقرُوءة خبراً هزَّ كل الكيان القبْطي هزَّاً، وفاضت لهُ الدُّمُوع أنهاراً، ودقَّت الأجراس في كل الكنائس حُزناً وألماً لِتُعلِنْ رحيل خليفة مار مرقُس، البابا البطريرك الأنبا كيرلُس السَّادس (الـــ ١١٦)، تجمَّع كل المطارنة والأساقفة في البطريركيَّة لحضُور صلاة التَّجنيز، وإلقاء النَّظرة الأخيرة، وأخذ بَرَكة قداسة البابا كيرلُس قبل دفنه في قبره المُؤقت، أسفل الكاتدرائيَّة المرقُسيَّة بالأنبا رويس، بالقاهرة، لحين تجهيز قبره الدَّائم، ونقل جُثمانه المُبارك لدَيْر الشَّهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريُوط، حسب وصيَّة قداسته [١٣].

حضر الأنبا أغابيُوس صلوات التَّجنيز، ثُمَّ ذهب إلى طمُوه وتقابل لأوَّل مرَّة مع الأخ زكريَّا، الَّذي أبدى مُوافقتُه على نعمة الكهنُوت بلا نقَاش ولا مُجادلة، وبدُون أي شرُوط، وبالفعْل حَزَمَ حقيبتهُ وسافر مع الأنبا أغابيُوس إلى ديرُوط. وقف القُمُّص أغاثُون السُّرياني يُودِّعهُ وعيناهُ تذرف الدُّمُوع رغم شخصيته القويَّة، وقَالَ لهُ في ختام

---

[١٣] قَامَ المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث بتنفيذ هذه الوصيَّة، ونقل الجسد في ٢٣ نُوفمبر ١٩٧٢م.

نصائحه وإرشاداته: " أنت ضرْس واتقلع منِّي "، وعندما كان يحكي لنا قصَّة كهنُوتُه، كان يُكرِّر هذه الجُملة مُركِّزاً عليها كثيراً بفخر واعتزاز، فهي تُبيِّنْ أمانتهُ في خدمة المكان، لذلك أحبَّهُ القُمُّص أغاثُون كثيراً.

في يوم الأحد المُوافق ٢١ مارس ١٩٧١م بمُطرانيَّة ديرُوط – أثناء فترة خُلُو الكُرسي المرقُسي – سأل نيافة الأنبا أغابيُوس الشَّماس زكريَّا: " أنت واخد رُتَبْ شُمُوسيَّة؟ "، فأجابهُ: " نعم "، فَقَالَ لهُ: " أخدت إيه؟ "، رد الشَّماس زكريَّا: " مِشْ فاكر ". فأحضر الأنبا أغابيُوس كتاب تكريس الشَّمامسة، ووقف على يمين المذبح وقرأ كل رُتَبْ الشُّمُوسيَّة سرَّاً، وذلك حسب طقس الكَنيسَة، أنَّهُ يُفضِّل أن يأخُذ المُتقدِّم للرُّتبة الأعلى، الرُّتبة السَّابقة لها، فالأُسقف يأخُذ نعمة الكهنُوت: قسِّيسيَّة ثُمَّ قُمُّصيَّة قبل رسامته أُسقفاً، وكذلك القسْ يأخُذ نعمة الشُّمُوسيَّة قبل رسامته قساً، ثُمَّ تمت رسامة الأخ زكريَّا كاهناً مُتبتِّلاً على مذبح كَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم والأنبا أبرآم بدجلا، باسم القسْ زكريَّا، واحتفظ لهُ الأنبا أغابيُوس باسم زكريَّا، تيَّمُناً وبَرَكَة بكاهنْ شيخ قدِّيس كان اسمُه القُمُّص زكريَّا بديرُوط، كان قد تنيَّح حديثاً، وكان الأنبا أغابيُوس يكِنْ لهُ كل حُبْ وتقدير، لذلك دعا الأخ زكريَّا باسم القسْ زكريَّا، وكان عُمرُه في ذلك الحين حوالي خمسة وثلاثُون عاماً.

أمَّا الكَنيسَة الَّتي أخذ النُّطق على مذبحها بدجلا، فلم يُصلِّي بها سوَى قُدَّاس واحد فقط، وسبب صلاته لهذا القُدَّاس أنَّهُ بعد الرِّسامة مُباشرةً – غالباً السبت التَّالي لرسامته – ذهب نيافة الأنبا أغابيُوس ومجمُوعة منْ كهنة الإيبارشيَّة والقسْ زكريَّا إلى دجلا لصلاة العشيَّة، استعداداً لصلاة قُدَّاس الأحد باكراً، وتسليم القسْ زكريَّا الكَنيسَة والخدمة بها. وحسب كَرَمْ أهل الصَّعيد أعدُّوا مأدُبة عشاء دسمة جداً لنيافة الأُسقُف والفُوج المُرافق لهُ، عندما رأى القسْ زكريَّا الأكل الدَّسم استأذن نيافة الأُسقُف والحضُور قائلاً: " أنا تعبان ورايح أنام "، وبالفعْل صعد بمُفردُه لينام، وفي الصَّباح الباكر وجد مَنْ يطرُق بابُه قائلاً: " تعال يا أبونا صلِّي القُدَّاس، علشان الأُسقُف والكهنة الَّذين معهُ كُلُّهُمْ مرضى "، وبالفعْل صلَّى القسْ زكريَّا القُدَّاس الوحيد لهُ

بدلجا على مذبح الكَنيسَة الَّتي أخذ النُّطق للخدمة على مذبحها. ثُمَّ بعد ذلك خدم في الإيبارشيَّة ككاهنْ عام، حيثُ كان الأنبا أغابيُوس يُرسلهُ للصَّلاة في الكنائس الَّتي في احتياج لكاهنْ للصَّلاة.

تَرْك ديرُوط

" وَأَمَّا يُوحَنَّا فَفَارَقَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ " (أع ١٣: ١٣).

" فَحَصَلَ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَةٌ حَتَّى فَارَقَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ " (أع ١٥: ٣٩).

استمرَّ في ديرُوط حوالي عام واحد فقط، ثُمَّ اختلف مع الأنبا أغابيُوس على بعض الأُمور الإداريَّة والماليَّة في الخدمة، فطلب منهُ أن يُرهبنهُ في دَيْر السَّيِّدة العذراء مريم، المحرَّق، فرفض مُتعلِّلاً أنَّهُ هُناك لن يكُون تحت رئاسته الدِّينيَّة، وبذلك لن يكُون خاضعاً لهُ، فطلب القسْ زكريَّا إخلاء طرف، فلم يُوافق نيافته أيضاً، لاحتياجُه الشَّديد لهُ، وحُبُّه وتقديرُه لشخصه، فأصرَّ أبونا زكريَّا على ترك ديرُوط، وفيما هو خارج منْ المُطرانيَّة كتب لهُ الأنبا أغابيُوس خطاباً، ظنَّ أنَّهُ إخلاء طرف، فكان جواب حَرْم كتب فيه: " أنت محرُوم وموقُوف عن الخدمة خارج الإيبارشيَّة، ولا حلْ ولا بَرَكَة بالصَّلاة خارج الإيبارشيَّة ". أراد بهذا الحرم أن يُزعزع عزيمة القسْ زكريَّا، ويُجبرُه على العودة للخدمة معهُ، لكنَّهُ أصرَّ على ترك الخدمة والذَّهاب للدَّيْر للرَّهبنة، ويبدو أنَّ تحذير القُمُّص أغاثُون السُّرياني لهُ بدأ يتحقَّق رُويداً رُويداً.

ترك ديرُوط مُتوجهاً إلى المنُوفيَّة، فزار الأُسرة ومكث معهُمْ أيَّاماً قليلة، ثُمَّ عاد إلى القاهرة في مارس ١٩٧٢م مُتوجهاً إلى قداسة المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث، الَّذي كان يذكُرُه مُنذُ اللقاء الأوَّل بينهُما في طمُوه. عَرَضَ عليه أمرُه، وشرح لهُ رغبتُه في حياة الوحدة، وأشواقُه الحارَّة لحياة الرَّهبنة، فأرشد الرُّوح القُدُس قداسة البابا شنُوده لقبُول طلبُه، فوافق في الحال على موضُوعُه، ثُمَّ سألهُ عن الدَّيْر الَّذي يُريد الذَّهاب إليه، فعرَّفهُ القسْ زكريَّا أنَّهُ يُريد أن يترهبن في دَيْر السُّريان، فاصطحبهُ قداسة البابا في سيارته الخاصَّة إلى دَيْر السُّريان، وسلَّمهُ بيده لنيافة الأنبا ثاؤفيلس أُسقُف ورئيس دَيْر

السُّريان. الجدير بالذِّكر أنَّ قداسة البابا كان قد اصطحب مِنْ طمُوه أيضاً إلى دَيْر السُّريان القُمُّص باسيليُوس السُّرياني في سيارته الخاصَّة، حينما كان أُسقُفاً للتَّعليم، والآن يُحضِر القسْ زكريَّا للدَّيْر وهو بطريركاً، وكان ذلك في ١٩٧٢/٣/١٢م، عشيَّة رهبنة الآباء: الرَّاهبْ أنطونيُوس السُّرياني [١٤]، والرَّاهبْ برصنُوفيُوس السُّرياني، والرَّاهبْ ماركُوس الكِيني (الإسقيطي) [١٥].

الرَّهبنة

" وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَال وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ " (**عب ١١: ٣٨**).

[أنَّ الرَّاهبْ هو ذلك الإنسان الَّذي يُرذِل نفسُه، ويُجهِد ذاتُه في كل الأُمور].

(الشَّاب زكريَّا الرَّاهبْ)

مكث القسْ زكريَّا في دَيْر السُّريان حوالي العام وثلاثة شهُور، كفترة اختبار لحياة الرَّهبنة، ورشَّح لهُ نيافة الأنبا ثاؤفيلس أحد قمامصة الدَّيْر المشهُورين بالحكمة والنِّعمة ليكُون أب اعتراف لهُ، وهو القُمُّص صرابامُون السُّرياني [١٦]. وفي هذه الفترة كان الحرمان الَّذي أخذهُ مِنْ الأنبا أغابيُوس ما زال سارياً، فلم يستطِعْ أن يُصلِّي أي قُدَّاسات فيها على الإطلاق، حتَّى أنَّهُ عندما كان يتحدَّث عن تلك الفترة كان يقُول وكُلُّه أسَى: " لقد اختنقت جداً، وتضايقت جداً في هذه

---

[١٤] رُسِمَ أُسقُفاً على سمالُوط بيد المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث، في ١٩٧٦/٦/١٣م، وترقَّى مُطراناً بيد قداسة البابا تواضرُوس الثَّاني.

[١٥] تنيَّح القُمُّص ماركُوس في أمريكا في يُونيو ١٩٨٣م.

[١٦] رُسِمَ أُسقُفاً عاماً في ١٩٧٣/٣/١٧م باسم الأنبا صرابامُون، بيد المُتنيِّح قداسة البابا شنُوده الثَّالث، ثُمَّ ثبَّتهُ كأُسقف ورئيس لدَيْر الأنبا بيشُوي في ١٩٧٧/٥/٢٩م.

الفترة، لحرماني مِنْ صلاة القُدَّاس وشَرِكَة المذبح المُقدَّس. أي أنَّني كُنتُ كاهناً مع إيقاف التَّنفيذ، فيُعطَى لِي يد بخُور، لكنِّي لا أستطيع الصَّلاة ".

أراد نيافة الأنبا ثاؤفيلس أُسقف الدَّيْر أن يرهبِنْ القسْ زكريَّا، فوافق قداسة البابا شنُوده على ذلك، وقبل الرِّسامة استدعى قداسة البابا نيافة الأنبا أغابيُوس مِنْ ديرُوط، لكي ما يفُك الحرمان الَّذي فَرَضَهُ على القسْ زكريَّا بعدم الصَّلاة خارج إيبارشيَّة ديرُوط، وبالفعْل استجاب الأُسقُف لأمر قداسة البابا وحضر لدَيْر السُّريان، ذهب نيافة الأنبا أغابيُوس والقسْ زكريَّا لكَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم الأثريَّة، السُّريان بالدَّيْر، وفتح ستْر الهيكل وصلَّى صلاة الشُّكر، ثُمَّ منحهُ الحلْ والبَرَكَة للصَّلاة في أي مكان. بعد الصَّلاة والحلْ قَالَ نيافة الأنبا أغابيُوس للقسْ زكريَّا: " كده أنت ها تترسِمْ راهبْ، وعايزك معي في الخدمة تاني "، أجابهُ القسْ زكريَّا مُعتذراً قائلاً: " لا، مِشْ ها أرُوح معاك تاني ".

حضر قداسة البابا مِنْ بداية صلاة طقس تكريس الرَّاهب، ثُمَّ سأل نيافة الأنبا ثاؤفيلس: " ها تسميه إيه يا أنبا ثاؤفيلس؟ "، أجابهُ: " نسميه إرميا يا سيِّدنا "، فَقَالَ قداسة البابا: " لا، إرميا اسم مِشْ مُناسبْ ليه "، ثُمَّ التفت قداسة البابا إلى القسْ زكريَّا وقَالَ لهُ: " أنت عايز تتسمَّى إيه؟ "، أجابهُ القسْ زكريَّا: " الاسم الَّذي يختارُه قداسة البابا يا سيِّدنا "، فنطق سريعاً قداسة البابا: " ندعُوك يا بيشُوي راهبْ على دَيْر السَّيِّدة العذراء مريم، السُّريان "، وكان ذلك في ٢٤ يُونيو ١٩٧٣م، وكان الاسم والتَّاريخ لهُما معنى ومغزى كبير في قلب القُمُّص بيشُوي السُّرياني.

اسم بيشُوي

" لِيَكُنِ اهْتِمَامُكَ بِالاسْمِ. فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لَكَ مِنْ أَلْفِ كَنْزٍ عَظِيمٍ مِنَ الذَّهَبِ. الْحَيَاةُ الصَّالِحَةُ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ أَمَّا الاسْمُ الصَّالِحُ فَيَدُومُ إِلَى الأَبَدِ "
(سي ٤١: ١٥ – ١٦).

عندما نطق قداسة البابا: " ندعُوك يا بيشُوي "، تهلَّل قلب القسْ بيشُوي

السُّرياني فرحاً لاسمه الجديد، وذلك لأنَّ أبونا بيشُوي بطبعه مُرهف الحِسْ جداً، وحريص كل الحرْص أن لا يُغضبْ أحداً منهُ، وعندما كان شَمَّاساً في قريته — كفر السَّنابسة — وتحدَّث مع الأخ الَّذي كان طالباً للرَّهبنة بدَيْر الأنبا بيشُوي، وترك الدَّيْر ورجع لمنزله، استجاب لنصيحته ولم يذهب لدَيْر الأنبا بيشُوي، فخاف أن يكُون ذلك الفعْل جعل الأنبا بيشُوي يغضب منهُ، فكيف لهُ أن يحتمل غضب قدِّيس عظيم مثْل الأنبا بيشُوي، حبيب مُخلِّصنا الصَّالح، وكان هذا الأمر يُؤلمُه كثيراً كُلَّما تذكَّرُه، وعلَّق المُتنيِّح القُمُّص بيشُوي السُّرياني على ذلك قائلاً: "بمُجرَّد ما قداسة البابا نطق اسم بيشُوي فرحتُ جداً، وعرفت أنَّ الأنبا بيشُوي بيحبِّني ومشْ زعلان منِّي، وكمان بيعزِّني علشان كده أعطاني اسمُه، وأنا كمان بأحب الأنبا بيشُوي جداً، واتخذتهُ لي شفيعاً بعد السَّيِّدة العذراء والملاك ميخائيل".

يَوْم ٢٤ يُونيو

أمَّا تاريخ رهبنتُه فلهُ تأويلاً خاصَّاً في فكْر القُمُّص بيشُوي السُّرياني، يرويه هكذا: "لمَّا كُنت شغَّال في مصْر، في شَركَة البطاطين المصْريَّة، وقرأت في الجرائد عن عودة رُفات مار مرقُس لمصْر، في ١٧ بؤونة ١٦٨٤ش، المُوافق الإثنين ٢٤ يُونيو ١٩٦٨م، قُلت في نفسي لازم أرُوح أستقبلُه في المطار منْ محبَّتي لمار مرقُس. وفعلاً رُحت وقفت مع الجمُوع خارج المطار، وانتظرت السَّاعات حتَّى رأينا الطَّائرة في الجو منْ بعيد وهي تقترب، ثُمَّ بدأت تنزل على أرض المطار، وكان يوماً مُفرحاً، ورأينا الفرحة في عيُون قداسة المُتنيِّح البابا كيرلُس السَّادس، الَّذي صعد على سُلَّم الطَّائرة، ونزل وهو يحمل صُندُوق الرُّفات المُقدَّسة على كَتفُه، وسط زفَّة الأساقفة والكهنة وخُورس الشَّمامسة للرُّفات بالألحان المُناسبة، وكانت فرحة كبيرة لمصْر كُلِّها، علشان كده مار مرقُس شالها لي جميلة، وحَبْ يرُد لي الجميل فرهبني في يوم عودة رُفاته المُقدَّسة لمصْر".

الرَّاهبْ القسْ بيشُوي السُّرياني

مُنذُ أوَّل يوم يأخُذ فيه نعمة الرَّهبنة في الدَّيْر الَّذي كثيراً ما اشتاق إليه، بدأ يخطو بخطوات سريعة نحو الفضائل الرَّهبانيَّة والعيشة الملائكيَّة، فكان كالنَّحلة ينتقل مِنْ كتاب لآخر ليأخُذ منهُ فضيلة تُناسبهُ، أو يكتُبْ قولاً عن أحد الشُّيوخ ينتفعْ به. ورغم كِبَر سِنُّه نسبياً (حوالي سبعة وثلاثُون عاماً)، لكنَّهُ كان نشيطاً جداً، وذُو كفاءة عالية جداً في كل ما يُسنَدُ إليه مِنْ أعمال، وساعدهُ حفظُه للألحان والتَّسبحة وإجادته للُغة القبطيَّة، ليسير في الدَّيْر نحو الفضيلة بكل هدُوء وبلا تعثُّر. عَادَ للمذبح الَّذي حُرِمَ منهُ لمُدَّة عام، فصلَّى قُدَّاساً ثاني يوم رهبنتُه مُباشرةً، كان قُدَّاساً ملائكياً، سمائياً، لأنَّهُ أتى بعد طُول انتظار، وبشوق شديد وحنين كبير نحو المذبح.

العَمْل في الدَّيْر

" لاَ تَكْرَهِ الشُّغْلَ الْمُتْعِبَ. وَلاَ الْحِرَاثَةَ الَّتِي سَنَّهَا الْعَلِيُّ. لاَ تَنْظِمْ نَفْسَكَ فِي عِدَادِ الْخَاطِئِينَ " (سي ٧: ١٦ – ١٧).

أسند إليه نيافة الأنبا ثاؤفيلس أُسقُف الدَّيْر، العمل في دوَّار المواشي بالدَّيْر. وفي ذلك الزَّمان كان العمل كُلُّه يتم يدوياً، وكان العمل في الدُّوار يُعتبر مِنْ أصعب الأعمال في الدَّيْر، لكنَّهُ قَامَ بالعمل على أحسن وجه، نظراً لغيرته على الدَّيْر وحُبِّه للمكان، وأيضاً خبرته في مِثْل هذه الأعمال مُنذُ الصِّغر. وعمل أيضاً في معمل الألبان، فكان يتم تجميع اللبن في أوعية كبيرة، ثُمَّ يتم فرزُه يدوياً، فيأخُذ الزُّبدة ليصنع منها السَّمن، ويأخُذ اللبن بعد فرزه ليصنع منهُ الجُبْن، وهو أيضاً عمل شاق ومُتعبْ.

وكذلك عمل في صناعة قُربان الحَمَلْ، فكان يستلمْ القمح حبُوب إلى أن يُسلِّمهُ قُربان، حيثُ يأخُذ حبُوب القمح، يُنقِّيها مِنْ الشَّوائبْ ثُمَّ يغسلها، ثُمَّ يطحنها في المطحن، وبعدها يقُوم بنخل الدَّقيق بأكثر مِنْ منخُل، أي ينخُل الدَّقيق أكثر مِنْ مرَّة، في كل مرَّة تكُون فتحات المنخُل أكثر ضيقاً مِنْ المنخُل السَّابق، فيفرز الرَّدَّة الخشنة أوَّلاً، ثُمَّ الرَّدَّة النَّاعمة، ثُمَّ الرَّدَّة الأكثر نعُومة، وهكذا إلى أن يحصُل في النِّهاية على

دقيق ناعمْ جداً، يليق بصناعة الحَمَل، وبعدها تتم خطوات صناعة الحَمَل نفسُه مِنْ عجين وتقطيع وتسوية وخلافُه، وكل هذا يتم يدوياً. فكانت أيضاً مِنْ الأعمال الشَّاقة والمُرهقة بدنياً في الدَّيْر، ولا يقوى عليها إلاَّ أصحاب الأبدان القويَّة والسَّواعد المفتُولة.

كما أنَّهُ عمل أيضاً في الزِّراعة، وتحديداً في الحُوض المزرُوع حالياً زيتُون خلف مبنى القلالي المعرُوف في الدَّيْر باسم " البيدس [١٧] "، فَقَامَ بزراعة جُزء مِنْ هذا الحُوض بعض أنواع الخُضار، وأيضاً كُوسة، ونجحت كل زراعاته جداً، فأُعجبَ به الأنبا ثاؤفيلس كثيراً، وانطبق عليه قول سُليمان الحكيم: **" أَرَأَيْتَ رَجُلاً مُجْتَهِداً فِي عَمَلِهِ. أَمَامَ الْمُلُوكِ يَقِفُ. لاَ يَقِفُ أَمَامَ الرَّعَاعِ "** (**أم ٢٢: ٢٩**). لدرجة أنَّ الأنبا ثاؤفيلس قَالَ لهُ: " أنا ها أعطيك حُوض وأكتبُه باسمك [١٨]، وازرع أنت على طُول ".

يَوْم في القلاية

" كُلُّ عَمَلٍ مُنْتَقىً يُبَرَّرُ. وَعَامِلُهُ يُكْرَمُ لأَجْلِهِ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي الْحِكْمَةِ. وَيَتَحَدَّثُ بِهَا فِي عَقْلِهِ " (**سي ١٤: ٢١ – ٢٢**).

[الجلُوس في القلاية، إنَّما هو الدُّخُول إلى القلب وتفتيشُه، وضبط الفكْر مِنْ كل شيء ردِئ، وقطع الهوى، وترك تزكية الذَّات، والابتعاد عن مرضاة النَّاس. الخلاص يحتاج إلى تعب كثير واجتهاد، فلا تسترخِ للجسد لئلاَّ يصرعك].

(القدِّيس برصنُوفيُوس)

عندما سألهُ أحد الرُّهبان عن كيفيَّة قضاء يومُه في القلاية، أجاب: " في المزامير (الصَّلاة) والقراءة "، وهو بذلك لخَّص في كلمتين كل حياة وعمل الرَّاهبْ، كقول داوُد النَّبي: **" أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ "** (**مز ١٠٩: ٤**)، فالقراءة هي مادَّة للصَّلاة، والصَّلاة هي تعبير عن القراءة، وعندما نقرأ الكتاب المُقدَّس، نسمع كلام الله، وعندما نُصلِّي

---

[١٧] حيثُ كان يُوجد بجوارها ماكينة رفع مياه لري الأرض الزِّراعيَّة مُوديل " بيدس "، فأُطلقَ في الدَّيْر على المكان كُلُّه اسم " البيدس ".

[١٨] يقصد يُعطي هذا الحُوض اسم " حُوض أبونا بيشُوي ".

نُكلِّم نحنُ الله، وبذلك يستمر الحوار مُتواصلاً بين الله والإنسان، سواء كان المُتكلِّم هو الله والمُستمع هو الإنسان، مِنْ خلال قراءة الكتاب المُقدَّس؛ أو كان المُتكلِّم هو الإنسان والمُستمع هو الله، مِنْ خلال الصَّلاة، وعبَّر عن ذلك داوُد النَّبي بقولُه: **" يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ "** (**مز ٦٥: ٢**).

كان الرَّاهبْ القسْ بيشُوي السُّرياني يبدأ يومُه مِنْ قبل مُنتصف اللَّيْل، فإذا كان الدَّيْر يبدأ اليوم مِنْ السَّاعة الرَّابعة صباحاً، بصلاة تسبحة نصْف اللَّيْل ثُمَّ القُدَّاس الإلهي، أمَّا هو فكان يبدأ التَّسبحة في الحادية عشر مساءً، وكان يُصلِّيها بمُفردُه في قلايته. وكانت قلاية أبونا بيشُوي في القلالي القبو الأثريَّة على السُّور البحري للدَّيْر، على يسار الدَّاخل مِنْ الباب الأثري، أمام كَنيسَة السَّيِّدة العذراء الأثريَّة، السُّريان، وكَنيسَة الأربعين شهيداً، بسبسطية [١٩]. وكانت هذه القلالي عبارة عن حُجرتين صغيرتين مُتداخلتين، الخارجيَّة وتُسمَّى " المضيفة "، وهي الَّتي يُمكنْ لِلرَّاهبْ أن يستقبل فيها أخيه الرَّاهبْ الآخر، إذ ما أراد أن يسألُه عن شيء ما، أو يستوضح منهُ أمرٍ مُعيَّنْ، ثُمَّ يخرُج سريعاً؛ أمَّا الحُجرة الأُخرى الدَّاخليَّة، فتُسمَّى " المحبسة "، وهي قُدْس أقداس الرَّاهبْ، ويجب أن لا يدخُلها غيرُه، إلاَّ في حالات المرض الشَّديد، لخدمة الرَّاهبْ المريض، في الضَّرُورات القُصوى فقط. ولأنَّ هذه الحُجرة " المحبسة " مُلاصقة للسُّور، لذلك لم يكُنْ بها أي شبابيك للتَّهوية، سوَى فتحة صغيرة في سقف الحُجرة، كشُباك صغير يُسمَّى " الرَّوشن "، يفتحُه أو يُغلقُه الرَّاهبْ حسب الاحتياج.

ذات ليلة بدأ صلاة التَّسبحة كعادته بصوته الجهُوري ولحنُه القوي، مُرنِّماً الألحان بالدَّف، فوصل الصوت للرَّاهبْ المُجاور لهُ، لذلك صعد فوق سطح القلاية، وطرق على الرَّوشن، أجاب أبونا بيشُوي: " نعم "، فَقَالَ الرَّاهبْ المُجاور لهُ: " عايز أنام "، رد أبونا بيشُوي: " حاضر "، وانتهى الحوار بالكلمتين السَّابقتين فقط. نزل الرَّاهبْ إلى قلايته لينام، أمَّا أبونا بيشُوي فغلق أبصلُوديتُه بلا نقاش ولا جدال، دُونَ أن يُبدي

---

[١٩] تم تجديد هذه القلالي بعد أحداث السُّيول الَّتي غمرت المنطقة، يوم الأربعاء ٤ نُوفمبر ٢٠١٥م.

أي اعتراض أو تضايق مِنْ أخيه. فبالرَّغم مِنْ أنَّهُ كان في بداية حياتُه الرَّهبانيَّة، إلاَّ أنَّهُ كان ناضجاً رُوحياً جداً، فكان كل ما يعنيه هو راحة أخيه، حتَّى لو كان ذلك على حساب راحته الشَّخصيَّة. لذلك أخذ أبصلمُوديتُه ونزل للكَنيسَة المُقابلة لقلايته – كَنيسَة الأربعين شهيداً، بسبسطية – واعتاد أن يُصلِّي فيها التَّسبحة براحتُه، بهدُوء وببُطء وبتروِّي، فيُلحن برُوحانية ويضرب على الدَّف بعذُوبة، ثُمَّ يخرُج مِنْ الكَنيسَة مُتعزِّياً مُتهلِّلاً بالرُّوح مِنْ هذه الوجبة الرُّوحيَّة الدَّسمة، الَّتي قطع بها سكُون اللَّيْل، فيُرسل نغمات التَّسبيح كرائحة بخُور ذكيَّة مقبُولة أمام عرش الله، كقول المُرنِّم: **" بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلاَةٌ لإِلهِ حَيَاتِي "** (**مز ٤٢: ٨**)، ثُمَّ يرجع لقلايته فيُكمل برنامجُه اليومي، فيبدأ في الميطانيات، ثُمَّ صلاة باكر وصلواتُه الارتجاليَّة، ثُمَّ يخرُج للكَنيسَة لحُضُور القُدَّاس إذا أراد، أو يستريح قليلاً، بعدها يستيقظ لاستكمال الصَّلوات وقراءة الكتاب المُقدَّس والكُتُبْ الرُّوحيَّة الأُخرى، ثُمَّ يخرُج للعمل ويعُود مع الظُّهر، يستكمل ما تبقَّى لهُ مِنْ صلوات الأجبية، ويعُود للكتاب المُقدَّس مرَّة أُخرى. وهكذا يقضي يومُه ما بين الصَّلاة والقراءة، يتخلَّلها في الوسط العمل المُكلَّف به مِنْ الدَّيْر، كقول المزمُور: **" يَمْتَلِئُ فَمِي مِنْ تَسْبِيحِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ مِنْ مَجْدِكَ "** (**مز ٧١: ٨**).

لقد اعتاد أبونا بيشُوي السُّرياني مُنذُ أن دخل الدَّيْر حتَّى نياحته، أن يمكُث في قلايته كثيراً. وكان قليل التَّردُّد جداً على الآباء، حتَّى الشُّيُوخ منهُمْ، فكان يُؤمِنْ جداً بقول الأنبا مُوسَى الأسود: [**امضِي واجلس في قلايتك، والقلاية سوف تُعلِّمك كل شيء**]. فبالمُثابرة على الجلُوس في القلاية، يفتح الله للرَّاهبْ كُوَى السَّماء، فتفيض عليه النِّعم السَّمائيَّة والبركات العُلويَّة، وينمو في الفضيلة نُمواً سريعاً، أمَّا كثير التَّنقُل، سريع الحركة مِنْ مكان لآخر، فهو كَمَنْ يهدِم ما تعب في بُنائه بالأمس، فيصير الرَّاهبْ مِثْل الشَّجرة الَّتي يتم نزعها كل فترة وغرسها في مكان آخر، حتَّى تُصبح شجرة صغيرة مُتقزِّمَة بلا ثمر، كقول الأُم سفرنيكي: [**إذا كُنت في دَيْر فلا تستبدلُه بآخر، ولا الآخر بغيره، لئلاَّ تستكمل زمانك بدُون ثمر. مِثْل الطَّائر الَّذي يقوم عن**

البيض فيفسد ويصير عديم التَّوليد، كذلك الرَّاهبْ الكثير التَّنقُل، تبرُد حرارة الرَّهبنة وتموت منْ قلبُه].

أمَّا أبونا بيشُوي السُّرياني – حسبما قَالَ لنا – كان مُرشدُه الرُّوحي هو أب اعترافُه، ودليلُه هو الكتاب المُقدَّس، فيحفظ كل ما يجُول في ذهنُه وخاطرُه منْ تساؤُلات واستفسارات ويطرحها على أب اعترافُه، القُمُّص صرابامُون السُّرياني (الأنبا صرابامُون فيما بعد)، ويقيس نفسُه ويختبر أفكارُه على الكتاب المُقدَّس وأقوال الآباء. وهكذا سارت سفينة حياتُه في دَيْر السُّريان بهدُوء وسكينة، وعاش عُمرُه الطويل هذا دُونَ أن يحدُث منهُ أي ضجيج أو ضوضاء، تشُق طريقها نحو الهدف، كالسَّهم المارق، وتُسرع الخُطى نحو السَّيِّد المسيح.

حقًّا، أنَّ الجلُوس في القلاية ليس هو بالأمر السهل اليسير، لكنْ أبونا بيشُوي كان لهُ فكْر جيِّد في هذا الأمر، وهو فكْر آبائي رهباني قديم. إنَّ الجلُوس في القلاية لا يعتمد على قُدرات الرَّاهبْ الشَّخصيَّة، بل هي نعمة مجانيَّة وهبَة سمائيَّة، تُمنَح منْ الله لمَنْ لهُ استعداد لذلك، فعند سؤالُه: " كيف لهُ أن يمكُث في القلاية لمُدَّة أسبُوع ولا يخرُج منها، وهو كان في العالم يخدم قبلاً ككاهنْ مُتبتِّل وسط النَّاس؟ "، أجاب: " دي نعمة منْ ربِّنا، وتأتي بمعُونة منْ الله، وأنا لم أطلُبها، لكنْ ربِّنا وجد أنَّ الشخص – يقصد نفسُه ويتكلَّم بلُغة الغائبْ، تواضُعاً – لهُ اشتياقات، لذلك فربِّنا يسندُه ".

وعند سؤالُه عن حرُوب الوحدة بحُكم حبسُه الكثير في القلاية، فأجاب بتواضُع أكثر: " أنا مشْ مُتوحد "، لكنَّهُ أوضح أنَّ رُهبان المجمع عليهمْ حرُوب أكثر منْ رُهبان الوحدة، وقَالَ أنَّ رُهبان المجمع يعيشُون في الطَّاعة، فالكبير يحترم الصَّغير، والصَّغير يُطيع الكبير، والجميع يخضعُون في حُبٍّ لرئيس الدَّيْر، ولا يُخفَى على أحد ما يزرعهُ الشَّيطان منْ حرُوب بين هذا وذاك، تُفسد هذا الجو الرُّوحي سلامُه وهُدؤُه، ولكنْ أُبُوة رئيس الدَّيْر وحكمة الشُّيُوخ تطرُد هذه الحرُوب وتُزيل الرَّواسبْ، فيعُود السَّلام ويسُود الوئام بين الجميع، وهذه منْ حرُوب المجمع الغير موجُودة في الوحدة.

أمَّا عن حرُوب القلاية، فقسَّمها أبونا بيشُوي لمجمُوعة منْ الحرُوب، مثْل:

الحرُوب الرُّوحيَّة والنَّفسيَّة والجسديَّة، فَقَالَ أنَّ مِنْ أهم الحرُوب الَّتي تُواجه الرَّاهبْ في القلاية هي حرُوب الأفكار، سواء كانت أفكار شرِّيرة أو أفكار كبرياء وذات وخلافُه، فهذه الحرُوب يطرُدها دائماً الوجُود الدَّائم في حضرة الله، حتَّى أنَّهُ قَالَ نصاً: **" أنَّ أفضل الفضائل الرَّهبانيَّة هو الوجُود الدَّائم في حضرة الله "**، وقَالَ أيضاً: **" أنَّ صُلْب الموضُوع – موضُوع الرَّهبنة – هو الوجُود الدَّائم في حضرة الله "**، ولأنَّهُ جرَّب بنفسُه وتدرَّب كثيراً على هذه الفضيلة، فقطع فيها شوطاً كبيراً بجهاد مرير، حتَّى أفاض الله عليه بالكثير مِنْ هذا الشُّعُور بالانحصار في الحضرة الإلهيَّة. لذلك في فترة شيخُوخته عندما كان يترل مِنْ قلايته ويجلس في الشَّارع بجوار السُّور المُواجه لمبنَى القلالي، فكان يجلس في الشَّمْس على حَجَر أو قفص خُضار مع المُتنيِّح القُمُّص سلوانس السُّرياني، أو يجلس بمُفردُه ويُعطي ظهرُه للشَّارع ووجههُ لحائط السُّور، لكي لا يقطع فكرُه في الله، ولا يُشوَّش على وجُودُه الدَّائم مع الله. وعندما وصل لفترة قُرْب نهاية حياتُه بالجسد على الأرض، كان الرُّوح القُدُس قد ملأهُ – حسب قُدرة احتمالُه – مِنْ هذه النِّعمة السَّمائيَّة، فكُنَّا نراه في فترة مرضُه الأخيرة، وهو نائمْ يُردِّد بعض الآيات، أو يلهج في أقوال القدِّيسين، كَمَنْ يقرأ في كِتاب في عز اليقظة في ساعات الظَّهيرة.

ومِنْ حرُوب القلاية أيضاً حرب الملل (الضَّجر)، فَقَالَ: **" الملل حرب مِنْ حرُوب الشَّيطان، قاوِم الشَّيطان يهرب منك، وتُقاومُه بالمزامير، فهو لا يحتملها لأنَّها تحرقُه "**، عملاً بقول الأنبا إشعياء: **[احفظ نفسك مِنْ الملل، فإنَّهُ يُتلف ثمرة الرَّاهبْ]**. ثُمَّ أكمل حديثُه قائلاً: **" ويجبْ على الرَّاهبْ أن يُنوِّع في نشاطُه داخل القلاية، فَمَنْ يَمَل مِنْ الصَّلاة، يذهب إلى القراءة، ومَنْ يَمَل مِنْ القراءة، يذهب إلى الصَّلاة، ومَنْ يَمَل مِنْ الصَّلاة والقراءة، يذهب إلى العمل اليدوي، وهكذا يكُون هُناك تنوُّع في برنامج الرَّاهبْ داخل القلاية، ولا يكُون برنامج جاف يكسر الرَّاهبْ، بل يتميَّز بالمرُونة والبساطة بلا تسيُّبْ أو تقصير في القانُون اليومي. المُهم أن يُكيِّف الرَّاهبْ يومُه حسب حالته الصِّحيَّة والرُّوحيَّة بلا تطرُّف يميناً أو**

يساراً ".

أيضاً مِنْ حرُوب القلاية ترك الصَّلاة، فيجتهد الشَّيطان أن يُعطِّل الرَّاهبْ عن صلاته، وإذا استجاب لهُمْ يمنعُوه عن الصَّلاة، وعلَّق على ذلك أبونا بيشُوي قائلاً: **" وإذا ترك الرَّاهبْ الصَّلاة، يفرح الشَّياطين فيه، أي يشمتُوا فيه "**، ثُمَّ قَالَ كلمتُه الشَّهيرة: " أُمَّال أنت – يا راهبْ – تُقعُد هُنا تعمل إيه؟! ". فكانت كلمة **" راهبْ "** في نظرُه تعني **" صلاة "**، لذلك لا يجبْ على الرَّاهبْ ترك صلاته تحت أي عُذر، أو لأي سبب مهما إن كان، فعرُوس النَّشيد كانت تعيش هذا الفكْر، حتَّى أنَّها قالت: **" أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ "** (**نش ٥: ٢**)، وهذه درجة رُوحانيَّة عالية، لكنَّها وصلت لها مِنْ خلال استمرار الصَّلاة باليقظة، جعلها تُصلِّي وهي نائمة (حلْم). لذلك قَالَ سُليمان الحكيم: **" الْحُلْمَ يَأْتِي مِنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ "** (**جا ٥: ٣**)، فالحُلْم الرُّوحي ليلاً يأتي مِنْ كثرة الشُّغْل الرُّوحي نهاراً، فالجلُوس في القلاية ليس هو كل شيء، ويجبْ أن لا يكُون جلُوساً عقيماً، بل لابُد أن يكُون هُناك العمل الرُّوحي في القلاية مِنْ صلاة وقراءة.

العَمَلْ اليَدوِي

" وَلكَوْنِهِ مِنْ صِنَاعَتِهِمَا أَقَامَ عِنْدَهُمَا وَكَانَ يَعْمَلُ لأَنَّهُمَا كَانَا فِي صِنَاعَتِهِمَا خِيَامِيَّيْنِ " (أع ١٨: ٣).

ذُكِرَ عن الأنبا أرسانيُوس أنَّهُ مِنْ يوم أخذ الأُسكيم، لم يُبقِي في قلايته أكثر مِنْ حاجته، بل كان يتصدَّق بالباقي للجميع، وكان قد تعلَّم ضفر الخُوص مِنْ الرُّهبان، وكان يضفر القُفَفْ والمراوح وغيرها، ويبيع ويأكُلْ منهُ، ويشتري خُوص الضَّفائر ويتصدَّق بما تبقَّى، وهكذا كان عملُه دائماً [٢٠].

كان العمل اليدوي قديماً هو العمل الوحيد المُتاح في الصَّحراء، وكان مُهم جداً وضروري للرَّاهبْ، لكي ما يبيع عمل يديه ويشتري به احتياجاتُه الشَّخصيَّة مِنْ أكل

---

[٢٠] بُستان الرُّهبان، طبعة مُطرانيَّة بني سويف.

وشُرْب، والباقي يتصدَّق به على الفُقراء. وفي هذا قَالَ الأنبا إشعياء: [**اعمل لكيما تُعطي المساكين مِنْ عرق جبينك، لأنَّ البطالة موت وهلاك، واحرُس قلبك قبل كل شيء، كي يكُون لك شُغْل في الرُّوحانيَّة في كل رهبنتك**]. لذلك عندما دخل أبونا بيشُوي للدَّيْر، كان لهُ عمل يدوي يُمارسهُ داخل قلايته، بالإضافة للعمل المُكلَّف به مِنْ رئيس الدَّيْر، فتعلَّم شُغْل الإبرة، وكان يعمل الطاقية والتَّليج، كما كان يعمل في الخُوص، فيضفر الضَّفيرة ثُمَّ يصنع منها السِّلال والقُفَفْ والمقاطفْ الَّتي يستخدمُونها في الدَّيْر، وفيما هو جالس يشتغل بالإبرة أو يضفر الخُوص كان قلبُه مُلتهباً بحُبْ الله، في صلاة حارَّة سواء صلاة المزامير أو صلوات سهميَّة، ارتجاليَّة. وعلَّق على ذلك قائلاً: " **العمل بدُون صلاة لن يُفيد، العمل لن ينفع مِثْل الصَّلاة، الصَّلاة تُفيد أكثر** "، وهذا ما قالهُ الأنبا بيمنْ: [**اجعل لك عمل اليدين مِثْل قانُون مُحدَّد، وليس مِنْ أجل الطَّمع، فلا تُبطل بسببُه الأعمال الرُّوحيَّة**].

وعندما طُرِحَ عليه استفساراً، أنَّ العمل اليدوي الآن قلَّت قيمتُه، وانعدمت في بعض الحِرَف كالخُوص مَثَلاً، فأجاب: " قديماً كانت الأعمال المُتاحة في الدَّيْر قليلة وخفيفة، وتحتاج لِوقت أقل مِنْ الآن، أمَّا الآن فأعمال المجمع الرَّهباني أكثر وأكبر مِنْ السَّابق كثيراً، وهي تشغل وقت كبير مِنْ يوم الرَّاهبْ، فيُعتبر شُغْل القلاية هو العمل اليدوي لهُ مِنْ نظافة القلاية، وإعداد طعامُه، وغسيل أواني الطَّعام [٢١]. فإذا كان الرَّاهبْ ما زال يعمل في أعمال الدَّيْر المُختلفة، فليكتفي بذلك، وعندما يتفرَّغ مِنْ أعمال الدَّيْر، يبحث لنفسُه عن عمل يدوي يُناسبهُ داخل القلاية ". وخَتَمَ حديثُه قائلاً: " **أنَّ العمل اليدوي مُفيد للرَّاهبْ، وهو طقس رهباني قديم**، كما قَالَ الأنبا أنطونيُوس: [**إن جلست في قلايتك قُمْ بعمل يديك، ولا تُخلِ اسم الرَّب يسُوع، بل امسكُه بعقلك ورتِّل به بلسانك وفي قلبك، وقُلْ: يا ربِّي يسُوع المسيح ارحمني، يا ربِّي يسُوع المسيح أعنِّي. وقُلْ لهُ أيضاً: أنا أُسبِّحك يا ربِّي يسُوع المسيح**] ".

---

[٢١] حيثُ أنَّ دَيْر السُّريان لا يعتمد على المائدة المُشتركة، بل يُعطي لكل راهبْ مرسهُ الأسبُوعي مِنْ الخُضار واللُّحُوم والفاكهة، يُسوِّيه بمعرفتُه وطريقتُه في قلايته.

الخِدْمَة خارِج الدَّيْر

١. في الإسكندريَّة

كان قداسة المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث يعلم كفاءة الرَّاهبْ القسْ بيشُوي السُّرياني، ويثق فيه جداً، لذلك بعد رهبنته بفترة بسيطة دعاه وطلب منهُ أن يذهب للقُدْس للخدمة هُناك، فاعتذر أبونا بيشُوي لهُ بكل أدب رهباني وخضُوع لقداسته، قائلاً: " أنَّني مُشتاق لحياة البريَّة، ومُتعطِّش للحياة الدَّيريَّة، وأُريد أن لا أترُك الدَّيْر وأنزِل للخدمة مرَّة أُخرى "، لكِنْ قداسة البابا عرض عليه أن ينزل ليخدم في الإسكندريَّة، وتحت إصرار قداسته قَبِلَ الخدمة ونزل، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٧٤م، واستمرَّ بها حتَّى سنة ١٩٧٦م. وكان النَّائبْ البابوي بالإسكندريَّة في ذلك الوقت هو القُمُّص ويصا السُّرياني [٢٢]، ورافقهُ في الخدمة القُمُّص غُبريال الأنبا بيشُوي.

كان المقر الرَّسمي لهُ في الإسكندريَّة هو الكَنيسَة المرقُسيَّة، لكنَّهُ كان يذهب للكنائس الَّتي تحتاجُ إلى كهنة، فصلَّى في مُعظم كنائسْ الإسكندريَّة الكائنة في ذلك الوقت، كما أنَّهُ زار كَنيسَة مارجرجس، سبُورتنج، وصلَّى بها قُدَّاسات، وفي هذه الفترة كان القُمُّص بيشُوي كامل مريضاً، فزارهُ في مترله، وأهداه القُمُّص بيشُوي كامل بعض الكُتُبْ الرُّوحيَّة، ثُمَّ جلسا يتسامران معاً، وعرف أبونا بيشُوي السُّرياني كم يُعاني القُمُّص بيشُوي كامل منْ آلام المرض. ومع ذلك لم يُعطي جسدهُ راحة، لكنَّهُ يضغط على نفسُه بالنُّزُول للكَنيسَة والصَّلاة رغم الآلام المُبرحة، كما أنَّهُ لم يُريح جسدهُ في المترل، فيقضي مُعظم اللَّيْل جالساً على الكُرسي في الصَّلاة لعدم القُدرة على الوقُوف على قدميه لشدَّة المرض عليه.

---

[٢٢] نيافة الأنبا إيساك، الأسقف العام حالياً.

أخذ أبونا بيشُوي السُّرياني منْ القُمُّص بيشُوي كامل تعزيات كبيرة وخبرة عظيمة منْ هذه الزِّيارة، ثُمَّ دعا كُلٌّ منهُما لأخيه بالبَرَكَة، وغادر المنزل مُتجهاً لمقرُه بالكَنيسَة المرقُسيَّة.

بارك الله في خدمته في الإسكندريَّة كثيراً، ولأنَّهُ كان موهُوباً في الوعظ والتَّعليم، فخصَّص لهُ مُحاضرة كل أسبُوع مساءً بالكاتدرائيَّة المرقُسيَّة، ولُوحظْ زيادة أعداد الحاضرين بها بصُورة لم تسبق منْ قبل، حيثُ كانت عظاته تخرُج منْ القلب لتستقر في قلب الحضُور بلا فلسفة ولا تعقيد. وكم منْ خُطاة أعلنُوا التَّوبة على يديه، وكم منْ بعيدين جذبهُمْ لحضْن السَّيِّد المسيح بحلاوة رُوحُه وقداسته، كما أنَّ جمال صوتُه في القُدَّاس ورُوحانيتُه، جعلت الكثيرين يرتبطُون به، ويُواظبُون على حضُور القُدَّاسات الإلهيَّة، وكثيراً ما كانُوا يسألُون عن شرائط الكاسيت المُسجَّل عليها القُدَّاس بصوته. وفيما هو في الكَنيسَة المرقُسيَّة بالإسكندريَّة، زارهُ القُمُّص جوارجيُوس السُّرياني، وقَالَ لهُ:

أبونا جوارجيُوس السُّرياني: صلِّي منْ أجلي يا أبونا بيشُوي، أنا اُخترت للأُسقفيَّة وخايفْ منْ نيرها!

أبونا بيشُوي السُّرياني: انتظر وما تخافش، دا أنت ها تُبقَى حاجة كبيرة خالص.

أبونا جوارجيُوس السُّرياني: العصا والعمَّة تُقَال عليَّ خالص، مشْ ها أقدر أحتملهُمْ.

أبونا بيشُوي السُّرياني: لا تخف، المسيح ها يخفِّفها عليك، ربِّنا ها يخفِّف العمَّة عليك، ويخفِّف العصا الَّتي في إيدك.

وعن هذه الرِّسامة قَالَ أبونا بيشُوي: " أنَّ والد أبونا جوارجيُوس كان قد تقابل معي مُنذُ فترة، وقَالَ لي: أنا قُلْت لهُ – لابنُه الرَّاهبْ جوارجيُوس السُّرياني – أنت ها تترهبنْ، وبعد الرَّهبنة إيَّاك تنزل للخدمة، خليك في حالك، وابعد عن الخدمة ". وأوضح أبونا بيشُوي معنى هذا الكلام قائلاً: " كان قصد والد القُمُّص جوارجيُوس منْ هذا الكلام، أنَّهُ إمَّا أن يُصبح أُسقُفاً وينزل للخدمة كأُسقُف، أو يُكمل حياتُه في الدَّيْر كراهبْ، لأنَّهُ عرف أنَّ الرَّاهبْ عندما ينزل للخدمة يتعب فيها، لذلك قَالَ لابنُه:

" لو نزلت للخدمة وأنت أُسقُف، أنا مُوافِق، وغير كِده مِشْ مُوافِق ". وقد كان، وتَمّت رِسامة القُمُّص جوارجيُوس السُّرياني باسم الأنبا هِدرا، أُسقُفاً لإيبارشيَّة أسوان، ورئيساً لِدَيْر الأنبا باخوميُوس بحاجِر إدفُو، في ٢٢ يُونيو ١٩٧٥م، وتمّ ترقيتُه مُطراناً في ١٩ مارِس ٢٠٠٦م.

ذات مرَّة، بينما كان بالكَنيسَة المرقُسيَّة، تقدَّمت لهُ سيِّدة تشكُو ابنها المُهندِس، وهي لم تكُنْ تعرِف الرَّاهِبْ القِسْ بيشُوي السُّرياني معرِفة شخصيَّة، لكنَّها رأت أنَّهُ راهِبْ، فأرادت أن تشكُو ابنها لهُ، وكانت هذه الأُسرة تُقيم في البتانُون، منُوفيَّة، ثُمَّ غيَّرُوا محل الإقامة مُؤقّتاً إلى الإسكندريَّة، نظراً لِدِراسة ابنهُمْ في كُلِّيَّة الهندسة، جامعة الإسكندريَّة. فقالت السَّيِّدة لأبينا بيشُوي: " يرضِيك اللي حصل ده؟ يعني ينفع يترهبِنْ ويسِيب عليَّ التَّلاث بنات، وهو الولد الوحِيد عندي؟! "، فَقَالَ لها أبونا بيشُوي: " طوِّلي بالك شويَّة، اُصبُري شويَّة وبعدها ها تعرِف مشيئة ربِّنا إيه في الموضُوع ده "، فأعلنت رفضها الكامِل لِرهبنة ابنها، وعدم مُوافقتها التَّامة على ما فعلهُ، فردَّ عليها أبونا بيشُوي: " يا ستْ اُصبُري شويَّة، وأنتِ ها تشُوف بنفسك إرادة ربِّنا إيه، دا ها يُبقَى لهُ شأن عظِيم في الكَنيسَة "، وهكذا طيَّبْ خاطِرها ورجعت لِلمنزِل سعِيدة.

بعد فترة ذهبت لِلكَنيسَة، فوجدت أبونا بيشُوي موجُوداً بها، فتقدَّمت تُسلِّم عليه وتأخُذ بَرَكتُه وهي مُبتسِمة سعِيدة، فَقَالَ لها: " عرفت يا ستْ ربِّنا عايز إيه؟ أبو مين اللي ما يخطُبْ أُخت الأُسقُف (يقصِد كثرة الشَّباب الَّذين يتقدَّمُون لِخطُوبة أخواتُه) "، وكان هذا الشَّاب هو نِيافة الأنبا بنيامِين، مُطران المَنُوفيَّة الحالِي، أَطَالَ الله حياتُه [٢٣].

استمرَّ في الخِدمة بالإسكندريَّة مِنْ ١٩٧٤م حتَّى ١٩٧٦م، وبعد أن قضى هُناك سنتين وبِضْع شهُور، اِستأذن قداسة البابا شِنُوده وعاد إلى الدَّيْر مرَّة أُخرى. لكِنْ أهل

---

[٢٣]. رُسِمَ أُسقُفاً بيد البابا شِنُوده في عِيد العنصرة، في ١٣ يُونيو ١٩٧٦م، ورُقِّيَ مُطراناً بيد البابا تواضرُوس الثَّاني.

الإسكندريَّة كانُوا قد أحبُّوه جداً، وكانُوا كُلَّما أتَوا لزيارةِ دَيْر السُّريان يسألُون عنهُ، ويُقابلُونهُ بالبشاشة والفرح، مُتذكِّرين خدمتهُ القويَّة لَهُمْ، وقُدَّاساتُه العذبة، ومحبَّته للجميع.

٢. في نجع حمَّادي

عاد إلى ديرُه كالطَّائر إلى عشِّه، مُشتاقاً لقلايته وحياته الرَّهبانيَّة السَّعيدة. ولكنْ قداسة المُتنيِّح البابا شنُوده الثَّالث لم ينساه، فبعد بضْع شهُور طلبهُ، وقَالَ لهُ: " يا أبونا بيشُوي، عايزك تخدِم في نجع حمَّادي "، وعندما كان المُتنيِّح القُمُّص بيشُوي السُّرياني يحكِي لنا هذا الموقفْ يقُول: " أنا علشان بأحِبْ البابا شنُوده ما قدرتشْ أزَّعلُه، وقُولت لهُ حاضر يا سيِّدنا "، وبالفعْل ذهب إلى إيبارشيِّة نجع حمَّادي مع نيافة الأنبا كيرلُس – أطَالَ الله حياتُه – وخدم تحديداً في كَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم، بقرية هجُورة، وهي الكَنيسَة الَّتي بناها الشَّماس المُكرَّس المُتنيِّح عباس الغالِي. وتقابلا معاً، وعاشا ببساطتهما المعهُودة معاً. وبعد أن قضى هُناك حوالي سنة بين عامي ١٩٧٧م و١٩٧٨م، عاد إلى دَيْرُه مرَّة أُخرى.

٣. في المُنوفيَّة

سبق أن ذكرنا أنَّ الرَّاهبْ القسْ بيشُوي السُّرياني كان يسكُنْ في كفر السَّنابسة، مُنوف، وأُختُه البِكْر – أُم يُوسُف – تسكُنْ في فيشا الصُّغرى، الباجُور مُنوفيَّة، وكثيراً ما صلَّى قُدَّاسات وهو شمَّاس صغير في هذه الكَنيسَة، وكثيراً ما كان الكهنة يُعطُونه عِظة القُدَّاس بعد الإنجيل، فيُمتِّع النَّاس بعظاته الرُّوحيَّة، وغيرته الأُرثُوذُكسيَّة، لذلك كان معرُوفاً جداً عند كل أهل القرية. وفي هذا الوقت كان يخدِم في قرية فيشا الصُّغرى القُمُّص صراباموُن البرمُوسِي – أطَالَ الله حياتُه – (١٩٧٩م – ١٩٩٠م)، وكانت كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بفيشا الصُّغرى، تخدم عدَّة قُرَى حولاً منها، فكان القُمُّص صراباموُن يبذُل مجهُوداً كبيراً في الخِدمة. لذلِك عَرَضَ عليه شعب

الكَنيسَة أن يطلُبْ منْ الأنبا بنيامين أن يستدعِي القسْ بيشُوي السُّرياني لِيُساعدهُ في الخِدمة، خصُوصاً وأنَّهُ محبُوب جداً ومقبُول عند كل القرية. فرح جداً القُمُّص صراباموُن بهذا الاقتِراح، وبسُرعة قدَّم طلبُه وطلب شعب الكَنيسَة لنِيافة الأنبا بنيامين، الَّذي أعلن قبُولُه أيضاً لثقته في أبينا بيشُوي. وفي أوَّل لقاء مع المُتنيِّح نيافة الأنبا ثاؤُفيلس، أُسقُف ورئيس دَيْر السُّريان، استأذنهُ في طلب القسْ بيشُوي لِيُساعِدهُ في الخدمة بالإيبارشيَّة، وعندما وافق الأنبا ثاؤُفيلس، أعدَّ أبونا بيشُوي حقيبتهُ وذهب إلى كَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم، بفيشا الصُّغرى، (فيشا النَّصارَى)، وكان ذلك في عام ١٩٨٢م، واستمرَّ في الخِدمة بها حتَّى عام ١٩٩٠م.

في كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بفيشا الصُّغرى

جَاءَ إلى الكَنيسَة، فَكان يسكُنْ في الجِناح الغربي بالطابق الثَّاني تحت المنارة في مبنى الكَنيسَة الَّذي أقامهُ أقباط فيشا لِيترل فيه قداسة المُتنيِّح البابا كيرلُس الخامِس أثناء تدشين الكَنيسَة، وكان يترل فيه عندما يزُور الكَنيسَة بين الحِين والآخر. في هذا السَّكْن كان يقُوم بطقسُه الرَّهباني كما هو، فلم يجعل الخِدمة تعوقُه عن إتمام طقسُه، حيثُ كان يُصلِّي كل مزاميرُه والتَّسبحة أيضاً، ويضرب ثلاثُ مائة ميطانية يومياً، فحافظ على حياتُه النُّسكيَّة الملائكيَّة الرُّهبانيَّة، كما لو كان في الدَّيْر تماماً، فَكان موجُوداً بالكَنيسَة ولا تشعُر به لهدوءِه الشَّديد، وخُلوته الدَّائمة مع السَّيِّد المسيح. حيثُ يُصلِّي القُدَّاس، سواء كان هو الكاهِنْ الخدِيم أو شَريكاً مع كاهِنْ آخر، ثُمَّ يخرُج منْ الكَنيسَة بسُرعة إلى قلايتِه، فلا يقِفْ مع أحد، ولا يتكلَّم مع أحد، ولا يُعطِي فُرصة لأحد أن يتكلَّم معهُ.

الغريب أنَّهُ رغم شُهرتِه في الوعظ والتَّفسير، وحفظه للعديد منْ آيات الكتاب المُقدَّس وأقوال الآباء، كما كان يفعل في الإسكندريَّة، وأيضاً في فيشا والقُرَى المُحيطة بها قبل الرَّهبنة. ولعلَّ عِظاته القويَّة الَّتي كانت ما تزال ترِنْ في آذان الشَّعب، هي الَّتي جعلتهُمْ يطلبُونهُ بالاسم. إلاَّ أنَّهُ عندما ذهب إلى كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بفيشا كاهِناً،

امتنع نهائياً عن الوعظ، سواء في القُدَّاسات أو المُناسبات الاجتماعيَّة المُختلفة، كما امتنع أيضاً عن أخذ الاعترافات، تاركاً ذلك للقُمُّص صرابامُون البرمُوسي رفيقُه في نفس الكَنيسَة. هذا المنظر يلفتْ نظرنا لمُوسَى النَّبي ويشُوع بن نُون، فلابُد أن يكُون هُناك يشُوع بن نُون يُحارِب في الميدان، تُدَّعمهُ وتسندهُ صلوات مُوسَى النَّبي فوق الجبل (خر ١٧: ٨ — ١٦)، ففضَّل أبونا بيشُوي أن يأخُذ مكان مُوسَى النَّبي في عصرِه، فكان يهتم بالصَّلاة والتَّسبيح، وتَرَكَ الخِدمة الاجتماعيَّة لِلقُمُّص صرابامُون.

القُدَّاس

كان أبونا بيشُوي يُحبُّ المذبح حُبَّاً جمَّاً، ويُولِي القُدَّاس اهتماماً خاصاً، فكان يذهب إلى الكَنيسَة مُبكِّراً جداً لِصلاة القُدَّاس، فيُصلِّي دائماً تحليل الكهنة، ثُمَّ صلواتُه الخاصَّة، وصلاة الاستعداد، وكان يسأل باستمرار مُرتِّل الكَنيسَة عن صلاة التَّسبحة، فإذا كان المعلِّم قد صلَّى التَّسبحة، يبدأ القُدَّاس، وإن لم يكُنْ قد صلَّى التَّسبحة، يُصلِّيها أوَّلاً ثُمَّ يبدأ القُدَّاس. وكانت مُعظم القُدَّاسات يُصلِّيها باللحن الغريغُوري الجميل المُعزِّي، ويا حبَّذا لو كان يُصلِّي معهُ مُرتِّل وخُورس شمامسة يُجيد الألحان. فكان يرتفعْ بالمُصلِّين إلى السَّماء، ولا نُبالغ إذا قُلنا أنَّ كثيرين مِنْ النَّاس جذبهُمْ أبونا بيشُوي إلى الكَنيسَة برُوحانيَّة صوتُه، ولأنَّهُ عرف أنَّ هذه موهبة مِنْ الله لهُ، لذلك كان يخدم بها، فينسكِبْ في الصَّلاة بخشُوع طالباً الخلاص لنفسُه ولكل الشَّعب، ومَنْ لم يذرِف قلبُه قبل عينيه دمُوع التَّوبة، وهو يستمطِر المراحِمْ الإلهيَّة في لحن " ⲭⲉ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ " (ارحمنا يا الله)، وعندما كان يصِل إلى ختام المجمع، ويقُول بلحن أيُّوب: **[إنَّنا يا سيِّدنا لسنا أهلاً أن نتشفَّع في طُوباويَّة أُولئك القدِّيسين، بل هُمْ القيَام أمام منبر ابنك الوحيد، ليكونُوا هُمْ عِوَضاً عنَّا، يتشفَّعُون في مسكنتنا وضعفنا. كُنْ غافراً لخطايانا، تاركاً لآثامنا، مِنْ أجل طلباتِهِمْ المُقدَّسة، ومِنْ أجل اسمك العظيم المُبارك الَّذي دُعِيَ علينا]**، كان يطلُب شفاعة القدِّيسين، ويلتمِسْ منهُمْ المعُونة كَمَنْ يُخاطِبهُمْ أمامُه.

شَاعَ صيت قُدَّاسُه العذب الرُّوحاني في كل المنُوفيَّة، وبدأ النَّاس يتناقلُون طباعته على شرائط الكاسيت فيما بينهُمْ، ولشدَّة إيمانهِمْ في قداسة الرَّاهبْ القسْ بيشُوي وعَظَمة قُدَّاسُه، كان إذا مرض أحد هؤلاء البُسطاء يقُول لذويه: " هاتُوا لِي قُدَّاس الرَّاهبْ – يقصد أبونا بيشُوي – أسمعُه، لكي ما أُشفَى ".

أخذ أحد أبناء أبينا بيشُوي شريط قُدَّاسُه وسافر مع الأُسرة للعمل في ليبيا، وذات يوم قَطَعَ أطفالُه شريط القُدَّاس، فحزن جداً وأخذ يقُول: " يعني يا ربِّي الشِّريط الوحيد اللي بيعزِّينا في الغُربة يتقطع؟! "، ورَشْ الكاسيت والشِّريط بماء لقان كان قد أخذهُ مِنْ أبينا بيشُوي. في اليوم التَّالي وجد الشِّريط تمَّ لَحْمُه وبدأ يعمل بكفاءة. حكى لنا هذه القصَّة أحد أبناؤُه الرُّهبان وقريب هذا الشخص.

أمَّا سبب هذه الرُّوحانيَّة العظيمة، فهي شعُورُه الدَّائم أنَّهُ محصُور في الحضرة الإلهيَّة، لذلك عندما سألهُ أحد رُهبان الدَّيْر عن كيفيَّة صلاتُه للقُدَّاس بطريقة مقبُولة أمام الله، أجاب: " تخيَّل نفسك وأنت تُصلِّي القُدَّاس أنَّكَ في حضْن الآب ".

بدأ أبونا بيشُوي في حفْظ القُدَّاس قبل الكهنُوت، وبعد العمل في طمُوه كان يجلس مع الإخوة ويُصلِّي لهُمْ أجزاء مِنْ القُدَّاس، فتُعزِّيهُمْ جداً خصُوصاً " πεκλαος sap "، كما ذَكَرْ لنا القُمُّص باسيليُوس السُّرياني. لذلك قَالَ لهُ أحد الشَّمامسة في طمُوه: " صوتك يا أخ زكريَّا صوت أساقفَة ". وعندما كان يُصلِّي في كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بأرض بابا دبلو، قَالَ لهُ القُمُّص عبد المسيح الكبير: " يا ابني وأنا بأسمعك تُصلِّي إنجيل القُدَّاس، بأسمع الأنبا بنيامين طبْق الأصل، صوت الأنبا بنيامين بيرن في أُذُني ". وبعد الكهنُوت صلَّى قُدَّاس في كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بأرض الشَّركَة، فأتى لهُ كاهنْ شيخ وقَالَ لهُ: " قُدَّاسك يا أبونا قُدَّاس حبري (قُدَّاس الأحبار الأساقفَة)، مسحة مُعلِّمين ".

عندما سألهُ أحد الرُّهبان عن القُدَّاس الَّذي يُحبُّه، قَالَ لهُ: " أحبْ أصلِّي بثلاث قُدَّاسات معاً، فأُصلِّي الصُّلح كيرلُسي (يا رئيسُ الحياة)، ثُمَّ أصلِّي η αγαπη غريغُوري، ثُمَّ ثلاث قِطَعْ قبل αγιος باسيلي قبطي، ومِنْ αγιος حتَّى التَّقديس

غريغُوري، وبعد المجمع أُصلّي ⲁ̀ⲣⲓⲫ̀ⲙⲉⲩⲓ (أُذكُر يا ربُّ المُؤمنين) غريغُوري، ثُمَّ ⲛⲏⲙⲉⲛ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ (أُولئكَ يا رب)، و(اهدِنا) ϭⲓⲙⲱⲓⲧ باسيلي، ومِنْ Ⲡⲉⲛⲛⲏⲃ Ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ (يا سيِّدنا) إلى القِسْمَة غريغُوري، وفي الطقس السَّنوي وأعياد السَّيِّدة العذراء والشُّهداء والقدِّيسين أُصلّي قِسمة: هُوذا كائنٌ معنا .... ".

عندما استقرَّ في الدَّيْر كان يُصلّي القُدَّاس في كَنيسَة الأربعين شهيداً، ورغم طُول قُدَّاسه (مِنْ ٥ – ٩ ص) كان يحضرُه الكثير مِنْ شيُوخ ورُهبان الدَّيْر، مثل القُمُّص فلتاؤُس السُّرياني، أمَّا هو فيظل طُول القُدَّاس واقفاً ثابتاً، ثُمَّ نقل القُدَّاس لِكَنيسَة الأنبا يحنس كاما، وبعدها نقلهُ لِيوم الإثنين بكَنيسَة الأنبا بُولا. في البداية كان يُصلّي القُدَّاس كُلَّه بمفردِه، وعندما بدأ القلب يتعب كان يشترك معهُ بعض الآباء لِمُساعدتِه، وعندما زاد ألم القلب لم يستطِعْ الصَّلاة، لأنَّهُ كان يُصلّي بكل مشاعرِه وأحاسيسِه وصوتِه العالي الجهُوري، لِذلك كان يحضر القُدَّاس ويتناول فقط. وفي آخر الأيَّام لم يستطِعْ النُّزُول لِلصَّلاة، فكان الآباء يُحضِرُون التَّناوُل لِقلايته.

نتائِج خِدمتُه في المنطقة

" وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ " (مت ٥: ١٥).

شَاعَ صِيت الرَّاهِبْ القسْ بيشُوي في المنطِقة، وفاح عبير قداسته، فاشتَّمهُ الشَّعب مِنْ مسافات بعيدة، لِذلك تدَّفق الشَّباب على كَنيسَة السَّيِّدة العذراء بفيشا الصُّغرى مِنْ جميع نواحِي المُنوفيَّة والقليوبيَّة، وما زال الشَّعب والشَّمامسة يقولُون: " أنَّ العصر الذَّهبي لِكَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم بفيشا هو عصر الرَّاهبين: أبونا بيشُوي السُّرياني وأبونا صراباﻣُون البرمُوسي ". وكثيراً مِنْ الشَّباب كانُوا يقضُون كل اليوم في الكَنيسَة يتتلمذُون على أيدي الرَّاهبين الفاضلين، ويتنسَّمُون أريج الرَّهبنة الجميلة منهُما، فاستطاعا بحكمتهِما أن ينقِلا البرِّيَّة إلى العالم. لِذلك فالكثير مِنْ هؤلاء الشَّباب أخذ

الرَّهبنة مسلكاً لهُ نحو السَّيِّد المسيح، مِثْل: الأنبا الأنبا تكلا أُسقُف دشنا [٢٤]، والأنبا ماركُوس، الأُسقُف العام لحدائق القُبَّة والوايلي [٢٥]، والقُمُّص إشعياء المحرَّقي، والقُمُّص مكاريُوس البرمُوسي، والقُمُّص فليمُون الأنبا بُولا، والقُمُّص إسحق السُّرياني، والقُمُّص بُولا السُّرياني، والقُمُّص صرابامُون السُّرياني، والقُمُّص جوارجيُوس السُّرياني.

الرُّجُوع إلى الدَّيْر، ثُمَّ العودة للخدمة

بعد أن مكث في الخدمة في كفر السَّنابسة حوالي خمس سنوات، استأذن نيافة الأنبا بنيامين في العودة إلى الدَّيْر، فوافق لهُ على ذلك، وبالفعْل رجع إلى دَيْرُه. مكث به حوالي ستَّة أشهُر، لكنَّهُ كان قد اعتاد جو الخدمة والافتقاد واجتماعُه الأسبُوعي، فلم يحتمل الحياة في الدَّيْر ولا السُّكنَى في القلاية. وذات يوم اشتدَّ عليه الضَّجر والملل، فنزل مِنْ قلايته ليتمشَّى في الجبل، لكنَّهُ توجَّه ناحية دَيْر الأنبا بيشُوي شرقاً، وبالتَّدبير الإلهي وجد نيافة الأنبا بنيامين خارجاً لتوِه مِنْ الدَّيْر، فبعد التَّحيَّة والسَّلام واطمئنان كُلٌّ منهُما على الآخر، قَالَ أبونا بيشُوي: " يا سيِّدنا، أنا زهقت مِنْ القعدة في الدَّيْر وعايز أرجع الخدمة تاني "، أجابهُ نيافته: " اتفضَّل يا أبونا بيشُوي ترجع في أي وقت، مكانك محجُوز لك ". وبالفعْل رجع لنفس المكان، كَنيسَة السَّيِّدة العذراء مريم، بفيشا الصُّغرى، (النَّصارَى)، وخدم مع القُمُّص صرابامُون البرمُوسي، الَّذي كان ما يزال يُمارِس خدمتُه بالكَنيسَة.

رجع لخدمته بالكَنيسَة، واستمرَّ حوالي ثلاث سنوات. بعدها أراد أن يعُود إلى دَيْرُه مرَّة أُخرى، لكنْ رفيق الدَّرْب – القُمُّص صرابامُون البرمُوسي – تمسَّكَ به وحاول كثيراً معهُ أن يستمرا معاً في

---

[٢٤]. رُسِمَ أُسقُفاً في ٢٦ مايو ١٩٩١م.

[٢٥]. رُسِمَ أُسقُفاً في ١ يُونيو ٢٠١٤م.

الخدمة، لكنَّهُ رفض، ثُمَّ ذهب إلى نيافة الأنبا بنيامين، وقَالَ لهُ: " خلاص كده يا سيِّدنا، كفاية، أنا تعبت وها أرجع إلى الدَّيْر "، فوافق لهُ نيافته ورجع لِدَيْرُه مرَّة أُخرى سنة ١٩٩٠م، بعد ما مكث في الخدمة بها حوالي ثماني سنوات على فترتين.

مَوَاقِفْ في الخِدمَة

النُّبُوءَة

تُعتبر كلمته للقُمُّص جوارجيُوس السُّرياني نُبُوءَة بها تشدَّد وتشجَّع وتَمَّت فيما بعد، فرُسِمَ أُسقُفاً ثُمَّ مُطراناً، ويخدم إيبارشيَّة كبيرة جداً ورئيساً لِدَيْر الأنبا باخوميُوس، بحاجر إدفُو. كما قَامَ بتعمير دَيْر القدِّيس سمعان (هدرا السَّائح)، الكائنْ غرب أسوان. كذلك نُبُوءَته عن الرَّاهبْ تادرُس البرمُوسي أنَّهُ سيكُون لهُ شأن عظيم، فَصَارَ أُسقُفاً للمنُوفيَّة، ونائباً بابوياً للإسكندريَّة لفترة طويلة. والعجيب أنَّهُ خدم معهُ لِفترة طويلة في المنُوفيَّة فيما بعد، وأخيراً تَمَّت ترقيته لِمُطران بيد البابا تواضرُوس الثَّاني.

في شنتنا

" الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ "
(مز ٤١ : ٣).

ذهب أبونا بيشُوي السُّرياني لِيُصلِّي القُدَّاس مع كاهنْ كَنيسَة شنتنا، لأنَّهُ كان مريضاً، وفيما هُما راجعين بعد القُدَّاس، أراد أبونا بيشُوي أن يُعزِّي الكاهنْ الآخر، فَقَالَ لهُ أبونا بيشُوي: " يا أبونا، مرض الـــ Cancer دا بَرَكَة كبيرة "، فَرَدْ عليه الكاهنْ وقَالَ لهُ: " يا أبونا، وإيه اللي ما يتجرَّبش غير الحيوانات! "، فتعزَّى جداً أبونا بيشُوي بهذه الكلمة، وكان يقُول: " بدلاً مِنْ إنِّي أنا اللي أعزِّيه، هو اللي عزَّانِي وعرفت مِنْ ردُّه أنَّهُ راجِل قدِّيس وبار ".

الجرَّار الزِّراعي

" فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ. فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ " **(مت ٢١: ١٩).**

بالقُرْب مِنْ السَّكن الَّذي كان يقطُنْ به أبونا بيشُوي السُّرياني مِنْ الناحية الغربيَّة للكَنيسَة، كان يُوجد مترل قديم قَامَ أصحابه بهدمه لإعادة بُناءه مرَّة أُخرى، فأحضرُوا جرَّار زِراعي لِرفع الهدم والأنقاض به، واستمرَّ العمل لساعة مُتأخِّرة مِنْ اللَّيْل، وعندما أراد أبونا بيشُوي أن يستريح لكي ما يستيقظ باكراً كعادته لصلاة القُدَّاس، لكِنْ صوت الجرَّار منعهُ مِنْ النَّوم، فأرسل عامِل الكَنيسَة إليهِمْ لكي ما يستسمحهُمْ أن يُوقفُوا العمل لتَأخُّر الوقت واستكماله صباحاً، فلم يستجيبُوا ولم يسمعُوا لهُ. عاد العامِل وأخبر القسْ بيشُوي بما تم، فَقَالَ لهُ أبونا بيشُوي: " خلاص، هو ها يبطَّل دلوقتي "، وبالفِعْل تعطَّل الجرَّار في الحال إلى حين خرُوج القُدَّاس في اليوم التَّالي.

المعلِّم والتَّسبحة

" فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ. أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ " **(أع ٥: ٤).**

في إحدى المرَّات أرسلهُ نيافة الأنبا بنيامين يوم الأحد لصلاة القُدَّاس الإلهي في كَنيسَة ببلدة ما بالمنُوفيَّة، وكعادته ذهب باكراً جداً، وكان معهُ ابن أُختُه ليُصلِّي معهُ كشمَّاس، دخل الكَنيسَة، وسجد أمام الهيكل، وقبَّل المذبح، ثُمَّ سأل المعلِّم: " هل صلَّيت التَّسبحة يا معلِّم؟ "، أجابهُ: " نعم "، فسألهُ ثانيةً نفس السؤال، ورد المعلِّم نفس الرَّد، فكرَّر لهُ السؤال للمرَّة الثَّالثة: " عملت التَّسبحة يا معلِّم، نصلِّي؟ "، أجاب المعلِّم: " عملتها، صلِّي يا أبونا ". بدأ أبونا بيشُوي بصلاة تحليل الكهنة، ثُمَّ صلاة الاستعداد وبدأ القُدَّاس الإلهي. بعد الانتهاء مِنْ صلاة القُدَّاس خرج كعادته عائداً لمقره في كَنيسَة السَّيِّدة العذراء في فيشا. وفي الطَّريق قَالَ لِمَنْ معهُ: " المعلِّم لم يُصلِّي

التَّسبحة ".

أثناء القُدَّاس كان المعلِّم يقفْ غير مُتزِنْ، ثُمَّ أصابتهُ حكَّة في كل جسمُه. كانت نوبة صعبة جداً وشديدة وملحُوظة على المعلِّم، حتَّى جعلتهُ يحُك جسمُه بطريقة هستيريَّة، كما اشتدَّ عليه الصُّداع، وعندما لم يحتمل اصطحب معهُ شمَّاساً آخر وذهبا إلى فيشا الصُّغرى، على بُعد حوالي أربعُون كم، ليبحثا عن أبينا بيشُوي، فلم يجداه في الكَنيسَة، حيثُ أنَّهُ كان قد ذهب إلى مترل أُخته في فيشا، ليتناول طعام الإفطار مع الأُسرة، وفيما هُمْ جلُوس رأوا شمَّاساً يصطحبْ معلِّم الكَنيسَة الكفيف وهو في حالة يُرثَى لها، وأخذ يصرُخ:

المعلِّم: سامحني يا أبونا، أنا غلطت.

أبونا بيشُوي: خير يا معلِّم، فيه إيه؟

المعلِّم: أنا كذبت عليك وقُلت لك إنِّي صلَّيت التَّسبحة وأنا ما صليتهاش، فانتابتني نوبة حكَّة وصُداع.

أبونا بيشُوي: ربَّنا يسامحك ويحالَّك، وما تعملش كده تاني.

صلَّى لهُ أبونا بيشُوي التَّحليل، فشُفِيَ في الحال، وبعد ما طيَّبْ خاطرُه أعطاه عشرُون جُنيهاً، وكانت مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت، وقَالَ لهُ: " خُذْ يا معلِّم، المُواصلات عليَّ، ثُمَّ صرفهُ بسلام ".

شفَاء اليد

" ثُمَّ قَالَ لِلإِنْسَانِ مُدَّ يَدَكَ. فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى "
(مت ١٢: ١٣).

في أحد الأيَّام كان أبونا بيشُوي يسير في الطَّريق الزِّراعي بقرية فيشا النَّصارى، وهو طريق تُرابي غير مُمهد، وكان أبونا يُصلِّي صلواتُه الخاصَّة أثناء سيرُه. وفي هذه الأثناء مرَّ عليه شاب غير مسيحي، راكباً درَّاجة بُخَّاريَّة (موتُوسيكل)، وبُمجرَّد أن رآه مِنْ بعيد تعمَّد زِيادة سُرعة درَّاجتُه جداً، لكي ما يُثير عليه الأتربة والغُبَار الكثيف،

وهذا ما حدث بالفعْل. ما أن وصل هذا الشَّاب إلى منزله، وإذ بيده لا يستطيع تحريكها، ممَّا أثار عجب والدُه، فسألهُ في دهشة: " ماذا حدث لك، فلقد خرجت منْ البيت سليماً؟ "، فروَى الشَّاب لأبيه ما فعلهُ مع القسيس – حسب تعبيرُه – في الطَّريق، فأخذهُ والدُه وذهب به مُسرعاً إلى الكَنيسَة، لكي ما يستسمح القسْ بيشُوي، ويعتذر لهُ على ما بَدَرَ منهُ، فَقَبلَ أبونا بيشُوي اعتذارُه، وصلَّى لهُ فشُفيَت يدهُ في الحال. بعد ذلك الموقفْ – كما يحكي أهل بلدته – تغيَّر هذا الشَّاب في تعامُله مع المسيحيين عامَّةً، وأعطى احتراماً وتقديراً لرجال الكهنُوت خاصَّةً.

شَلَلْ نصْفي

" فَقَالَ بُطْرُسُ لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ " (أع ٣: ٦).

في إحدى القُرَى المُجاورة لفيشا الصُّغرى، كان شاب يعمل نجَّاراً أصابهُ شلل نصفي، وبعد أن عرضهُ الأهل على عدَّة أطباء، ولكنْ بلا جدوى، ولم يحدُث لهُ الشِّفاء. وعندما فقدُوا الأمل في الطب الأرضي، لجأوا إلى الطَّبيب الحقيقي، شافي الرُّوح والنَّفْس والجسد، حسب صدْق وعدُه: **" فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ "** (**خر ١٥: ٢٦**)، وذهبُوا إلى خادمه المبرُوك الرَّاهبْ القسْ بيشُوي، فصلَّى لهُ صلوات طويلة عميقة، ثُمَّ دهنهُ بالزَّيْت المُقدَّس وفي الحال تمَّ شفاؤُه وانتصبَّ واقفاً على قدميه، ورجع إلى بيته فرحاً، وهو إلى الآن – حتَّى كتابة هذه السُّطُور – ما زال يعمل نجَّاراً وبصحَّة جيِّدة.

في فيشا

" وَقَالَ لِي يَا دَانِيآلُ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ افْهَمِ الْكَلاَمَ الَّذِي أُكَلِّمُكَ بِهِ وَقُمْ عَلَى مَقَامِكَ لأَنِّي الآنَ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ " (دا ١٠: ١١).

كان أبونا بيشُوي السُّرياني محبُوباً جداً منْ كل سُكَّان قرية فيشا الصُّغرى، سواء

المسيحيين أو المُسلمين، وعندما كانت تمرض إحدى مواشي بعض المُسلمين كانُوا يقولُون: " هاتُوا الرَّاهبْ يصلّي لها علشان تخفْ ". كما كانُوا يستدعُونه لِيُصلّي لهُمْ لِحل المشاكل الخاصَّة بهم، وبعد فترة يذهبُون لأُخته البِكْر الَّتي كانت تسكُنْ في فيشا ويقولُون لها: " كل شيء أصبح تمام، فالمواشي المريضة تعافت، والمشاكل قد حُلّت ".

يقُول أبناء أُختُه أنَّهُمْ كانُوا يتعمَّدُون أن يأخُذُوا أبونا بيشُوي لِيمُر في وسط الحقل الخاص بهمْ، فيُبارك الله في المحصُول. وذات مرَّة ذهبت أُختُه لتحلبْ إحدى البهائم، فامتنعت عن إضرار اللبن، رجعت حزينة تشتكي لأبينا بيشُوي ما حدث، فرشم عليها علامة الصَّليب مِنْ بعيد، وقَالَ لها: " رُوحي وها تحلبْ إن شاء الله "، فاستجاب الله لصلاته.

مرَّة أُخرى كانت هُناك بقرة مُتعسِّرة في ولادتها، وبدأت السَّيِّدات يبكين والرِّجال يتهورُون، حيثُ أنَّ البقرة تُعتبر مِنْ أهم مصادر دخل الفلاَّح المِصْري، وموت الجنين يعني خُسارة مُوسم كامل، وبالفعْل كاد الجنين أن يختنق. وفي هذه الأثناء مرَّ عليهُمْ أبونا بيشُوي، فرشم علامة الصَّليب المُحيي على البقرة ومشي في هدُوءه المعرُوف، وفي الحال ولدت البقرة بكل سهُولة وبلا أي مشاكل، عكس ما كانت تسير عليه الأُمور قبل مُباركة أبونا لها.

كَنيسَة بالمنزِل

" تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ كَنَائِسُ أَسِيَّا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيراً أَكِيلاَ وَبِرِيسْكِلاَّ مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا " (**١كو ١٦: ١٩**).

مُنذُ أن سكن المقدَّس إسحق في كفر السَّنابسة، خصَّص الشَّماس زكريَّا لنفسُه حُجرة بالمنزِل، أحاطها بسريَّة تامَّة وخصُوصيَّة شديدة، وعندما ترك المنزِل سواء لِلعمل

بالقاهرة أو إلى طمُوه أو للرَّهبنة، ظلَّت هذه الحُجرة في المنزل محجُوزة لهُ ومعرُوفة باسمُه. لكنَّهُ ببُعد النَّظر عندما رأى أنَّ البلدة بلا كَنيسَة، والأجيال الصَّغيرة لا تتعلَّم أي شيء مِنْ حقائق الإيمان، فبعد رهبنتُه طلب مِنْ الأُسرة تجديد حُجرتُه وتحويلها إلى حُجرة لمدارِس الأحد، ثُمَّ بعد ذلك تم عمل مذبح مُتنقِّل بها، وما زالت حتَّى الآن هي الكَنيسَة الوحيدة الَّتي تعتمد عليها البلد.

العَطَاء

" مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ " (أع ٢٠: ٣٥).

أحضر لهُ القُمُّص صرابامُون البرمُوسي صفيحة جبنة، لكنْ أبونا بيشُوي لِنُسكه الشَّديد وحُبِّه للعطاء أعطاها بالكامل لعامل الكَنيسَة، حتَّى بعد عودتُه للدَّيْر لم ينسَى عُمَّال الكَنيسَة، بل كان يُرسِلْ لهُمْ بركات مادِّيَّة وعينيَّة مِنْ الدَّيْر.

الاستقرار في الدَّيْر

" فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرّاً لِرِجْلِهَا فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ ... " (**تك ٨: ٩**).

بعد كل هذه المُدَّة الطويلة مِنْ الغُربة بعيداً عن الدَّيْر، شَعَرْ أبونا بيشُوي أنَّ رسالتهُ في الخدمة قد كمُلت، وأنَّهُ خدم أبناء الرَّب كثيراً، فآن الأوان ليخدم الرَّب شخصياً في شخص الرَّاهبْ بيشُوي السُّرياني، مِنْ خلال صلواتُه وأصوامُه ونُسكياتُه الرَّهبانيَّة في محرابُه الخاص بالدَّيْر، فعاد للدَّيْر وبدأ كما لو كان طالبْ رهبنة مِنْ جديد، فعاد لِنُسْك الشَّباب الشَّديد، وسهر اللَّيالي، والصَّلاة بعُمق، وقراءة الكتاب المُقدَّس بفهم. حقَّاً، هو مَنْ ينطبق عليه قول المزمُور: **" الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ فَيَتَجَدَّدُ مِثْلَ النَّسْرِ شَبَابُكِ "** (**مز ١٠٣: ٥**). أنَّ الفترة الَّتي قضاها أبونا بيشُوي في الدَّيْر قليلة نسبياً بالنسبة لآخرين، لكنَّهُ قطع في الفضيلة شوطاً كبيراً، ونما في الرُّوحيات نُمواً

عظيماً حتَّى فَاقَ الكثيرين، كما قَالَ القدِّيس مكاريُوس: **[أنَّ نيَّات النَّاس مُختلفة، حتَّى أنَّهُ يُمكنْ لإنسان بنيَّة نشيطة وجادَّة أن يتقدَّم في ساعة واحدة ما لا يُمكنْ لغيرُه أن يتقدَّمُه في خمسين سنة إذا كانت نيَّتهُ مُتوانية]**.

القُمُّصيَّة

في قُدَّاس يوم الأحد المُوافق ٢ يناير ١٩٨٣م، أراد الأنبا ثاؤفيلس أن يُرقِّيه لِرُتبة القُمُّصيَّة، لكنَّهُ لم يكُنْ في القُدَّاس في هذا اليوم، فأرسل لهُ القُمُّص مينا الكبير ليستدعيه، فرفض النُّزُول للكَنيسَة، فأرسل لهُ القُمُّص متياس [٢٦] مرَّتين، فرفض أيضاً وقَالَ لهُ: " أنا ما نزلتش علشان المسيح، مشْ ها أنزل علشان القُمُّصيَّة "، وتأخَّرت رسامتِه قُمُّصاً سنيناً بعدها، فكان عندما يُقابلهُ المُتنيِّح القسّ أُوغريس السُّرياني — رفض أن يأخُذ نعمة القُمُّصيَّة حتَّى نياحتِه — كان يقُول لهُ: " أنت ها تقلِّدني، إذا جاءتك القُمُّصيَّة خُذها ".

بعد ما تولَّى نيافة الأنبا متَّاؤُس الأُسقُف العام رئاسة الدَّيْر في ٦ يُونيو ١٩٩٣م، ذهب لهُ أبونا بيشُوي يستأذن لزيارة الأُسرة، فَقَالَ لهُ نيافته: " مُمكنْ يا أبونا بيشُوي تأجِّل الزِّيارة أسبُوع، علشان نرسمك قُمُّصاً مع أبينا شيشُوي؟ "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " طب مُمكنْ يا سيِّدنا تخلِّينا ثلاثة؟ "، فَقَالَ نيافته: " مين التَّالت؟ "، أجاب: " أبونا لونجينُوس "، فوافق نيافته احتراماً وتقديراً لأبينا بيشُوي، وتمَّت ترقيتهمْ للقُمُّصيَّة يوم الأحد المُوافق ٢٩ أغسطُس ١٩٩٣م، وكان أبونا بيشُوي أوَّل قُمُّص بالدَّيْر يضع عليه اليد الرَّسُوليَّة نيافة الأنبا متَّاؤُس أُسقُف الدَّيْر.

أثناء وجُودُه بالمُستشفى قبل نياحتِه بأيَّام، وفيما هو نائم أخذ يقُول: " كرامة مشرُوخة ... كرامة مشرُوخة "، وبعد ما استيقظ سألهُ الرَّاهبْ المُرافق لهُ: " يعني إيه

---

[٢٦] رُسِمَ أُسقُفاً للمحلَّة الكُبرى باسم الأنبا متياس، في ١٨/٦/١٩٨٩م.

كرامة مشرُوخة يا أبونا بيشُوي اللي كُنت بتردِّدها وأنت نائم؟ "، فَقَالَ: " الرَّاهِبْ اللي يهتم بكرامتُه ويقُول هذا ضد كرامتِي، وهذا أقل مِنْ مكانتِي، تُبقَى دي كرامة مشرُوخة، الرَّهبنة فيها الاتِّضاع والمسكنة، مِشْ الكرامة والعِزَّة. أنا مثلاً اترسمت كاهناً سنة ١٩٧١م، وقُمُّصاً سنة ١٩٩٣م، ومع ذلك ما قُلتشْ هذا ضد كرامتِي ولا حاجة ". ويقصد بذلك أنَّ الرَّاهبْ الَّذي يقُول عن أي شيء أنَّهُ ضداً لكرامتُه أو إنقاصاً لشأنُه، يكُون هو بنفسُه الَّذي يحُط مِنْ مقدار نفسُه، لأنَّ الرَّهبنة تعتمد على التَّواضُع والمسكنة، ويكُون هذا الرَّاهبْ عندُه شرخ في الفهم الرَّهباني الصَّحيح للكرامة، عليه مع أب اعترافُه علاجُه.

مع القُمُّص فلتاؤُس

" هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً " (مز ١٣٣: ١).

نعلم جيِّداً القامة الرُّوحيَّة الَّتي كان عليها المُتنيِّح القُمُّص فلتاؤُس السُّرياني، وعندما كان يذهب أبونا فلتاؤُس ليزُور أب اعترافُه القُمُّص صليب السُّرياني، كان لا يدخُل قلاية أبينا صليب إلاَّ ومعهُ أبينا بيشُوي [٢٧]، فكانت تربُطهُما معاً علاقة رُوحيَّة عالية جداً، وأحبَّهُ أبونا فلتاؤُس لنُسكه الشَّديد، وقلبه النَّقي، وحُبِّه للقلاية، ودائماً ما كان يقُول عنهُ: " أبونا بيشُوي قلبُه أبيض ... أو أبونا بيشُوي قلبُه نقي ... أو أبونا بيشُوي قلبُه قلب طفل "، وأحبَّ فيه الطِّيبة والبساطة.

كان أبونا فلتاؤُس يجتمع بالآباء في قلاية أبينا صليب، ولا تخلُو جلسة مِنْ أبينا بيشُوي الَّذي كان يجلس صامتاً كعادته، يستمع لتعاليم ونصائح القُمُّص فلتاؤُس، لذلك حفظ منها الكثير، وكان يُردِّدها للآباء فيما بعد كَمَنْ يقرأ في كتاب. ومِنْ أشهر أقوال أبينا فلتاؤُس الَّتي كان يُردِّدها كثيراً أبونا بيشُوي: **" أنَّني لا يُمكنْ أن**

---

[٢٧] كانا يسكُنان في قلايتين مُتجاورتين بالدُّور الأوَّل، بمبنى القلالي (أ).

أدين أحداً، حتَّى الشَّيطان نفسُه، أنا لا أدينُه، فلهُ مَنْ يُدينُه ".

نظراً لِرُوحانيتِه العالية، كان أبونا فلتاؤُس مُواظِباً على حضُور قُدَّاس أبينا بيشُوي في كَنيسَة الأربعين شهيداً بسبسطية، ورغم طُول القُدَّاس كان يحضر مُتعزِّياً ومُتهلِّلاً بالرُّوح. ذات مرَّة زار أبونا فلتاؤُس أبينا بيشُوي في قلايته، فَقَالَ لهُ أبونا فلتاؤُس: " اتعشيت إيه يا أبونا بيشُوي؟ "، أجاب أبونا بيشُوي: " عسل "، فَقَالَ أبونا فلتاؤُس: " وأنا كمان عايز أتعشَّى عسل عندك ". وبعد كام يوم حضر أبونا فلتاؤُس وسأل أبينا بيشُوي: " عندك إيه علشان عايز أتعشَّى؟ "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " ولا حاجة "، فَقَالَ أبونا فلتاؤُس: " ما عندكش حاجة خالص؟! "، أجاب أبونا بيشُوي: " أبداً "، فسأل أبونا فلتاؤُس: " عندك ملح؟ "، أجابهُ: " نعم "، فَقَالَ أبونا فلتاؤُس: " خلاص أعطيني خُبزة وشويَّة ملح ". وهكذا نجد أنَّهُما رغم عَظَمَتهما الرُّوحيَّة ومكانتهما بالدَّيْر، نجد قلاليهما خاوية مِنْ أي شيء سِوَى الخُبْز الجاف والملح. وهذا المنهج كان يسير عليه أبونا بيشُوي حتَّى نياحته، فكثيراً ما كُنَّا نفتح ثلاجته نجدها فارغة تماماً إلاَّ مِنْ الخُبْز وزُجاجة الماء، حتَّى أمراسه كان يُرسلها للعُمَّال ولإخوة الرَّب، وصرَّح أحد أبناؤُه أنَّهُ كان يعُول اثنتي عشرة أُسرة فقيرة في الخفاء.

وعن إحساسُهم الرُّوحي ببعضِهما البعض، ذهب أبونا بيشُوي لقلاية مُجاورة بنفس الدُّور، فَقَالَ لهُ الرَّاهبْ: " تتغدَّى إيه النَّهاردة يا أبونا بيشُوي؟ "، أجابهُ: " لا ما تتعبْش نفسك، أبونا فلتاؤُس جاي النَّهاردة وها نتغدَّى مع بعض "، مع العِلْم أنَّ أبونا فلتاؤُس ليس لهُ مواعيد إطلاقاً. ويشهد هذا الرَّاهبْ أنَّهُ بعد حوالي نِصْف ساعة – بلا سابق ميعاد – حضر أبونا فلتاؤُس وجهَّز هذا الرَّاهبْ طعام الغِذاء للجميع، وأكلُوا بمحبَّة وشُكر.

البَابُ الثانِـي

نِقَاط مُضِيئَة

فِي حَيَـاتِـــه

فَضَائِل في حياته الدَّيْرِيَّة

١. القلاية

" لِتَكُونَ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى هذَا الْبَيْت نَهَاراً وَلَيْلاً عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذي قُلْتَ إِنَّكَ تَضَعُ اسْمَكَ فِيهِ لِتَسْمَعَ الصَّلاَةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ " (**٢أخ ٦: ٢٠**).

أهم شيء في حياة أبينا بيشُوي هي القلاية، فهي تُمثِّل العمُود الفقري في حياته الرَّهبانيَّة، وإذ أنَّهُ بطبيعته يُحب الهدُوء والسُّكُون والصَّلاة، لذلك كانت القلاية لها قُدسيَّة خاصَّة عندُه. كانت قلايته فقيرة جداً، ولا يُوجد بها إلاَّ الضَّروريات فقط، ومع ذلك كان يُحبَّها جداً، لدرجة أنَّهُ وهو في المُستشفى كان يُردِّد: " القلاية وحشتني جداً، أنا نسيت شكلها "، وعندما كان يسألُه مَنْ يسمعُه: " هيَّ القلاية فيها إيه خايفْ عليه؟! "، يرُد بكل بساطة: " أبداً، ما فيهاش حاجة، لكنَّها هي وحشتني جداً ".

حقَّاً، إنَّها الدالَّة بين الرَّاهبْ والقلاية، وكُلَّما أكرم الرَّاهبْ قلايته أكرمتُه، وكرامة القلاية تأتي مِنْ خلال الحفاظ على الطقس الرَّهباني بصفة عامَّة ونظام الدَّيْر بصفة خاصَّة، كما تأتي أيضاً مِنْ خلال حفاظ الرَّاهبْ على قانُونُه الرَّهباني بجدْ ونشاط ورُوحانيَّة في قلايته، أمَّا كرامة القلاية للرَّاهبْ، أنَّها تكُون مصدر راحة رُوحيَّة ونفسيَّة وجسديَّة لهُ، ويشعُر فيها بتعزيات السَّماء تتدفق عليه مِنْ أعلى، حتَّى لو كانت القلاية أتُون نار، فالرَّاهبْ لن يكُون فيها بمُفردُه، لأنَّ السَّيِّد المسيح سيكُون معهُ فيها كقول الأنبا أنطونيُوس: [**أنَّ قلاية الرَّاهبْ هي أتُون بابل، حيثُ أبصر الثَّلاثة فتية ابن الله، كما أنَّها عمُود النَّار والسَّحابة الَّتي منها كلَّم الله مُوسَى**].

٢. القانون الرَّهباني

" إِنَّ الْمُتَّقِينَ لِلرَّبِّ يُهَيِّئُونَ قُلُوبَهُمْ. وَيُخْضِعُونَ أَمَامَهُ نُفُوسَهُمْ " (سي ٢: ٢٠).

يُسمَّى النِّظام الرُّوحي الَّذي يخضع لهُ الرَّاهبْ مع أب اعترافه " بالقانون الرَّهباني "، وكان أبونا بيشُوي مُلتزماً جداً بقانُونه الرَّهباني في قلايته بعد استقرارُه في الدَّيْر، فيُصلِّي التَّسبحة كاملةً في قلايته يومياً، ومُلتزم جداً بصلاة المزامير، فيُصلِّي السَّاعات اللَّيليَّة والنَّهاريَّة بتأنِّي وتمهُّل شديد، وبفهم وعُمق. لذلك كانت صلاة السَّاعة الواحدة تأخُذ منهُ وقتاً طويلاً، فكان يقفْ في محبستُه مُنتصباً، رافعاً يديه لعدَّة ساعات يومياً، في صلب للجسد لا يقوى عليه إلاَّ أصحاب القامات الرُّوحيَّة العالية، وذات مرَّة رآه أحد الآباء مِنْ مبنى القلالي المُقابل وقَالَ لهُ: " أنا شُفتك يا أبونا بيشُوي وأنت سهران طُوال اللَّيْل بتصلِّي "، فَرَدْ عليه بكل بساطة: " وأنت ما بتعملش ذيي ليه؟ ".

عندما قَالَ لهُ راهبْ آخر: " يا أبونا بيشُوي، اغلق شُبَّاك المحبسة وأنت بتصلِّي، علشان الرَّاهبْ سِرْ "، رد عليه قائلاً: " أُمَّال إحنا جايين هنا نعمل إيه، إحنا جايين هنا علشان نصلِّي، هيَّ دي شُغلتنا، الدُّكتُور لمَّا يفتح العيادة مِشْ حرام! ".

كان أبونا بيشُوي في قلايته مُنظَّم جداً، فيضع كل شيء في مكانُه، لذلك لم يكُنْ يبحث عن أي شيء حتَّى في أواخر أيَّام حياتُه. عندما كان يسألُه أحداً عن أي شيء كان يُحدِّد لهُ مكانُه دُونَ النَّظر إليه، وهكذا كان النِّظام صفة عامَّة عندُه، وأيضاً في الناحية الرُّوحيَّة كان مُنظَّماً، فصلواتُه لها طقس مُعيَّنْ، وكان مِنْ الصعب جداً أن يفتح باب قلايته لأي طارق أثناء الصَّلاة، وإذا حدث لأي ظرف ما أن قصَّر في صلاة المزامير، كان يعترف بها لأب اعترافُه، نيافة الأنبا صرابامُون، ويُصلِّي المزامير في اليوم التَّالي مرَّتين. وعندما كان يتمشَّى في طُرقة الدُّور الثَّاني أمام قلايته، كان يُصلِّي

باستمرار المزامير، فسألهُ أحد الآباء: " يا أبونا بيشُوي أنت بتصلّي قانُونك في الطُّرقة؟! "، أجابهُ: " لا، دي المزامير الزِّيادة "، أي أنَّهُ كان يُصلّي القانُون في محبستُه مُنتصباً بخشُوع أمام الله، أمَّا التَّمشية فيُقدِّسها بالمزامير الزَّائدة عن القانُون اليومي.

٣. صَلاَة يسُوع

[قَالَ شيخ: ليس هُناك فضيلة مِنْ الفضائل تُشبه فضيلة مُداومة الصَّلاة والتَّضرُّع باسم ربَّنا يسُوع المسيح في كل وقت].

كانت صلاة يسُوع " يا ربِّي يسُوع المسيح ارحمني .... " لا تُفارق شفتي أبينا بيشُوي، حتَّى عندما يزورُه رُهبان الدَّيْر يتركهُمْ يتسامرُون معاً وينشغل هو بصلاته السَّهميَّة سرَّاً. لذلك كان قليل الكلام جداً، لأنَّ عقلُه وقلبُه وفكرُه مُنشغلاً بالرَّب يسُوع المسيح.

٤. الكِتاب المُقدَّس

[إذا جلست في خزانتك – قلايتك – فاقرأ بتعقُّل وتفهُّم، وفكِّر في تمجيد الله].

(القدِّيس إكليماذُوس)

حَازَ الكِتاب المُقدَّس على مساحة كبيرة في حياة أبينا بيشُوي، فكان جليسُه الدَّائم أينما حل، ورفيقُه الودُود أينما ذهب، واتسمت قراءتُه للكتاب المُقدَّس بالهدُوء والتَّمعُنْ في الكلمات والفهم العميق للمعاني كَمَنْ يتلذَّذ بوجبة دسمة، كما قَالَ إرميا النَّبي: **" وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلاَمُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي لأَنِّي دُعِيتُ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ "** (إر ١٥: ١٦). لذلك قَالَ الأب إبيفانيُوس: **[أنَّ التَّأمُل في الكُتُبْ حِرْز عظيم يحفظ الإنسان مِنْ الخطيَّة، ويستميلُه إلى عمل البر].** لهذا حَفَظْ أجزاء كثيرة مِنْ

الكتاب المُقدَّس، كما كان ذهنُه حاضراً دائماً بآيات لا يحفظها إلاَّ المُدَّققُون. فعند نياحة أحد أفراد أُسرة أحد الرُّهبان يُعزِّيه قائلاً: " **مِنْ وَجْهِ الشَّرِّ يُضَمُّ الصِّدِّيقُ** " (**إش ٥٧: ١**)، وعندما يطلُبْ منْهُ أحد الإخوة الجُدُد أن يختار لهُ اسماً يقُول لهُ: " **وَتُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ** " (**إش ٦٢: ٢**)، وإذا صادفتهُ متاعبْ لهُ أو لغيرُه، يقُول: " **لأَنَّ الأَجِنَّةَ دَنَتْ إِلَى الْمَوْلِدِ وَلاَ قُوَّةَ عَلَى الْوِلاَدَةِ** " (**إش ٣٧: ٣**).

كان أبونا بيشُوي يُحبْ القراءة جداً، وخصُوصاً الكتاب المُقدَّس، وأقل مُدَّة يقرأ فيها هي ساعة كاملة، وكان منْ عادته أنَّهُ ينام في ميعاد مُعيَّنْ، إذا مر عليه هذا الوقت بدُون نوم يظل مُستيقظاً حتَّى الصَّباح، فكان يقضي هذه اللَّيْلة ساهراً مع صديقُه الحميم، لذلك كثيراً ما قرأ سفْراً كاملاً في جلسة واحدة، وإذا أتاه ضجر (ملل) كان يقضي هذا الوقت في قراءة الكتاب المُقدَّس حتَّى تمُر عليه التَّجرُبة بسلام، كقول الأنبا أنطونيُوس: [**اتعبْ نفسك في قراءة الكُتُبْ وإتباع الوصايا، فتأتي رحمة الله عليك سريعاً**]، لذلك كان يحفظ آيات كثيرة بالشَّواهد.

ذات مرَّة عندما لاحظ أحد الآباء أنَّهُ يسهر كثيراً في قراءة الكتاب المُقدَّس، فَقَالَ لهُ، وكان قد وصل لسنْ الشَّيخُوخة: " يا أبونا بيشُوي ريَّح، نام بدري شويَّة "، فَقَالَ لهُ: " أُمَّال إحنا جايين هنا نعمل إيه، هو إحنا بنعمل حاجة غلط؟ القراءة دي نُور العقل، كقول داوُد النَّبي: « **سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي** » (**مز ١١٩: ١٠٥**) ".

كان يعجبُه جداً لقب الأنبا أنطونيُوس " **ناسك إنجيلي** "، ويقُول: " دا لقب أُطلقَ على الأنبا أنطونيُوس شخصياً "، ويُوجد نُوع منْ النُّسْك اسمُه " نُسْك الكتاب المُقدَّس "، ويأتي هذا النُّسْك منْ كثرة القراءة في الكتاب المُقدَّس، ومنْ العلاقة الشَّخصيَّة بين الرَّاهبْ والكتاب المُقدَّس. لذلك كان أبونا بيشُوي كتابُه مفتُوح أمامُه باستمرار، ويقُول في هذا الشأن: " **كثرة القراءة في الكتاب المُقدَّس نُوع منْ النُّسْك الرَّهباني** ".

في فترة الشَّيخُوخة بدأ يقرأ أسفار مُعيَّنة مِنْ الكتاب المُقدَّس فقط، فكان سِفْر إشعياء السِّفْر المُفضَّل لهُ، كما كان يقرأ أسفار إرميا والمزامير والجامعة والأمثال. ومِنْ العهد الجديد يقرأ الأناجيل الأربعة وسِفْر الرؤيا.

٥. سِيَرْ القدِّيسين

[القراءة فلتكُنْ في قِصَص الشُّيُوخ وتعليمِهِمْ، لأنَّ بهذا يستنير العقل نحو الفِعْل].

(أحد الشُّيُوخ)

كان أبونا بيشُوي مُولعاً بسِيَرْ القدِّيسين، فيقرأ ويحفظ منها الكثير، وفي جلساته القليلة مع الرُّهبان كان يحكِي لَهُمْ هذه القصَص مُتأمِّلاً فيها بأُسلُوبه البليغ ولُغتُه الفُصحى، وكان يأخُذ مِنْ فضائل هؤلاء القدِّيسين ما يُناسبهُ ويُطبِّقهُ على نفسُه، عملاً بقول القدِّيس أرسانيُوس مُعلِّم أولاد المُلُوك للسَّيِّدة إيلاريَّة السَّقليكِي عندما زارتهُ في قلايته: **[إذا سمعت بأعمال فاضلة فاعملي على أن تُمارسيها ولا تُجولي طالبةً فاعليها]**. وكان يُجهد نفسُه كثيراً ليقتني هذه الفضائل، ويُغصبْ نفسُه على الاستمرار في اقتنائها، كنُوع مِنْ التَّدريب الشخصي الخاص به. وعندما كان يرى الله أمانتُه وجِهادُه المُخلص في طريق الفضيلة، كانت نعمة الرُّوح القُدُس تعمل معهُ بِغِنَىً، وتفيض عليه بسخاء، وهذا عين ما كان يُعلِّم به الأنبا إشعياء الإسقيطي أبناءهُ، قائلاً: **[إذا سمعت أخبار القدِّيسين وأعمالهِمْ الشَّريفة، فلا تطمع في اقتنائها بلا تعب إن لم تشف نفسك أوَّلاً وتتأهَّل لها، حتَّى إذا أقدمت على عمل جاءتك مِنْ تِلقاء نفسها]**.

لقد كانت علاقتُه بالقدِّيسين علاقة شخصيَّة قويَّة، فأُمِّنا الحنُون السَّيِّدة العذراء مريم لها مكانة كبيرة في قلبه، وكذلك عميد الجيُوش العُلويَّة، الملاك ميخائيل. ومُنذُ أن أخذ اسم الرَّاهبْ بيشُوي، بدأ في تكوين علاقة حميمة مع الأنبا بيشُوي، وكان يتشفَّع كثيراً بمارِ جرجس والشَّهيدة دميانة. وعندما سألهُ أحد الرُّهبان: " يا أبونا بيشُوي،

أنت شُفت العذراء؟ "، أجابهُ: " طبعاً "، فسألهُ: " طب شُفتها إزاي؟ "، رد عليه: " هو أنت ما عندكش إيمان؟ أشوفها بالإيمان. كل قدِّيس تشُوف صُورتُه مُمكِنْ يحضر معاك بشخصُه لو عندك إيمان، الصُّور دي مِشْ مُعلَّقة في القلاية وبس، لو عندك إيمان مُمكِنْ ربِّنا يبعت لك كل قدِّيس بشخصُه ". ومرَّة أُخرى سألهُ راهبْ آخر: " حبيبك أبونا فلتاؤُس، ظهر لك بعد نياحتُه؟ "، فأجاب: " أيوه "، فسألهُ: " كان لابِسْ إيه؟ "، رد: " شُفتُه بالإيمان مشْ بالعيان ". وحتَّى هذه الجُملة مُقتبِسة مِنْ كلام بُولِس الرَّسُول: **" لأَنَّنَا بِالإِيمَانِ نَسْلُكُ لاَ بِالْعِيَانِ "** (**٢كو ٥: ٧**).

قَالَ لهُ أحد الرُّهبان: " أنا بأصلِّي في قلايتي ذكصُولُوجيَّة العذراء والأنبا يُحنسْ فقط "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " أنا بأصلِّي كل الذُّكصُولُوجيات اللي في الأبصلمُوديَّة "، فَقَالَ الرَّاهبْ: " يا أبونا دُول كتير "، رد أبونا بيشُوي: " مِشْ هُمَّ دُول اللي بيسنِدُونا؟! ".

٦. البساطة

" الرَّبُّ حَافِظُ الْبُسَطَاءِ. تَذَلَّلْتُ فَخَلَّصَنِي " (**مز ١١٦: ٦**).

البساطة هي أخذ الأُمور بلا تعقيد ولا تركيب، ولا يُعطي الأمر أكثر مِنْ حجمه، فالإنسان البسيط سهل في التَّعامُل معهُ، إذا أخطأت يقبل العُذر بسهُولة وسُرعة، وإذا تكلَّمت أمامُه لا يُؤوِّل الكلام ولا يُحلِّله ولا يُفسِّرُه على هواه. وكان أبونا بيشُوي بسيطاً جداً كطفل صغير، يُصدِّق كل شيء، لكنَّهُ كان يتميَّز بالبساطة الحكيمة، **" فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ "** (**مت ١٠: ١٦**)، وتظهر حكمتهُ في كلامُه وإجابة الأسئلة الَّتي يطلُبها الرُّهبان، أمَّا بساطتهُ فتظهر في تصديقُه لكل ما يُقال أمامُه.

لقد قسَّم الآباء البساطة لنوعين، وهُما: البساطة الفطريَّة الَّتي يُولد بها الإنسان كنعمة مجانيَّة أو عطيَّة أو موهبة مِنْ الله لهذا الإنسان، وكُلَّما ازداد الإنسان نُمواً في البساطة، كُلَّما ازداد رجُوعاً لحالة آدم الأُولى قبل السُّقُوط مِنْ حيث البساطة والنَّقاء

والبر؛ أمَّا النَّوع الثَّاني، فهو البساطة الجهاديَّة، وهي مثلها مثْل أي فضيلة رُوحيَّة أُخرى، تأتي بعد عناء شديد وجهاد مُستمر وعُمْر طويل، وكُلَّما غَصَبَ الإنسان نفسُه على اكتسابها، كُلَّما فاضت عليه النِّعمة بمقدار منها. وهذه الفضيلة ترفع الإنسان المُجاهد لمُستوى عالي، كالملائكة في النَّقاء والشَّفافيَّة. وفي هذا يقُول القدِّيس يُوحنَّا الدَّرجي: [**عظيمة هي أيضاً البساطة الَّتي يتسم بها بعض النَّاس بالفطرة، نعم ومُباركة، لكنَّها لا تُعادل البساطة الَّتي تُكتسَبْ بالعناء والتعب بعد التَّوبة عن الخطيَّة، فالأُولى محميَّة ومُحصَّنة ضد الكثير منْ التَّصنُع والانفعال، لكنْ الأخيرة تقُود إلى أعلى درجات التَّواضُع والوداعة. الأُولى ليست لها مُكافأة عظيمة، أمَّا الثَّانية فمُكافأتها لا نهائيَّة بلا حدُود**].

وإحقاقاً للحق، فإنَّ أبونا بيشُوي كان قد قطع شوطاً كبيراً، ونما نُمواً عظيماً في الفضيلتين معاً، فهو بطبعه بسيط مُنذُ الصِّغر، ودرَّبْ نفسُه جيِّداً على هذه الفضيلة الرَّهبانيَّة بين جُدران دَيْرنا العامر، حتَّى أنَّ الآباء الشُّيُوخ المُعاصرين لهُ مُنذُ رهبنته، كانُوا يقولُون الكلمة الشَّهيرة عنهُ: " أبونا بيشُوي ليس بسيطاً، بل البساطة هي الَّتي تتعلَّم منْ أبينا بيشُوي ".

مواقفْ منْ بساطته

- قبل نياحته بحوالي أسبُوعين، أراد الآباء الَّذين كانُوا يخدمُونه أن يغيَّرُوا لهُ المرقد الَّذي كان ينام عليه، فرفض، وتحت إلحاحهمْ قَالَ لَهُمْ: " مُوافق، بس بشرط "، فقالُوا لهُ: " أُؤمُرْ "، قَالَ: " يكُون عرض المرقد ١٢٠سم "، فسألهُ أحدهُمْ: " لماذا؟ "، أجاب: " علشان البطانيَّة ما تُقعش منْ على جسمي وأنا نائمْ ".
- ذات مرَّة ذهب ليتناول طعام الغذاء مع راهبْ آخر في نفس الدُّور الأوَّل، بمبنى القلالي (أ)، وبعد الغذاء شَعَرْ بتعب بسيط، فتمدَّد مكانُه ونام، أمَّا الرَّاهبْ صاحب القلاية فخرج وأغلق الباب بالمُفتاح واستمرَّ بالعمل حتَّى

اللَّيْل، وعندما رجع لقلايته تذكَّر أنَّ أبونا بيشُوي بالدَّاخل، وبُمجرَّد أن فَتَحْ الباب قَالَ لهُ أبونا بيشُوي: " يا أبونا، أنت قفلت عليَّ ليه، وحبستني كده؟! "، فَرَدْ الرَّاهبْ: " أخطأت يا أبونا، نسيت "، فبكل بساطة رد عليه أبونا بيشُوي: " طيِّبْ خلاص، ماشي "، وانتهى الأمر حتَّى بلا عتاب.

- كان المُتنيِّح أبونا سلوانسْ يسكُنْ في الدُّور الأرضي، بمبنى القلالي (أ)، زارهُ أبونا بيشُوي، وأتى أيضاً المُتنيِّح القُمُّص فليمُون والقُمُّص منصُور – أطَالَ الله حياتُه – وبطريقة الفُكاهة المعهُودة للقُمُّص سلوانسْ قَالَ: " أُدخُل اعمل لنا قهوة يا أبونا منصُور، وأكرم الضُّيُوف، اعمل لَهُمْ قهوة محشيَّة "، ضحك الجميع ودخل أبونا منصُور ليعمل القهوة، فتبعهُ للمطبخ أبونا بيشُوي، وقَالَ: " يا أبونا منصُور، أنا لا أُحبْ القهوة المحشيَّة، اعمل لي قهوة سادة "، وإن كان لا يُوجد شيء اسمُه قهوة محشيَّة وقهوة سادة بغير حشو، لكنَّها البساطة الَّتي جعلتُه يُصدِّق كل شيء.
- حينما كان في فيشا، ذهب لهُ أحد عُمَّال الكَنيسَة، وقَالَ لهُ: " صلِّي لأجلي يا أبونا بيشُوي علشان عندي مغص في باطنْ رجلي "، فبدأ أبونا بيشُوي يصفْ لهُ بعض الوصفات البسيطة لإزالة المغص، كشُرْب النِّعناع. وصدَّق أنَّ باطنْ القدم بها مغص.

٧. نقاء القلب

" إِنَّمَا صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ " (مز ٧٣: ١).

كان أبونا بيشُوي يتمتَّع بقلب نقي جداً، كنقاء قلب طفل وليد، لذلك كان يرى الجميع أمامُه أطهار وأنقياء، فلم يسمح لنفسُه أن يدين أحداً أو أن يرى أحداً سيِّئ، بل الجميع في نظرُه جيِّد، والكُل حُلو، وكان يُعلِّق على ذلك قائلاً: " هو يعني إحنا وصلنا لدرجات عالية قوي، ما إحنا كُلِّنا غلابة ". ومنْ هذا الصَّفاء والنَّقاء كان يلتمسْ الأعذار لمَنْ يُخطئ في حقِّه، ويُسامح ويُصفِّي بسُرعة بكلمة اعتذار بسيطة أو

حتَّى بدُون، ويقُول القُمُّص صرابامُون البرمُوسي: " أنَّنا خدمنا معاً كل هذه السِّنين، وعُمرنا ما اختلفنا معاً إطلاقاً ". وعندما كان أي شخص يعمل أو يقُول أي شيء يُضايقُه ويقُول لهُ مُعتذراً: " أخطأت، حاللني يا أبونا بيشُوي "، فيرُد على الفور: " الله يحالَّك "، فيقُول لهُ الشخص: " يعني مِشْ زعلان؟ "، يُجاوبهُ: " لا، خلاص مفيش حاجة ". لهذه النَّقاوة كان أبونا المُتنيِّح القُمُّص فلتاؤُس السُّرياني يُحبُّ جداً أبونا بيشُوي، ودائماً ما كان يقُول عنهُ: " الطَّيِّبْ، أبو قلب نقي ".

ذهب أبونا بيشُوي ليتغذَّى عند أحد الآباء المُجاورين لهُ، وكان عندُه فُرن يعمل بالكهرباء، فوضع الطَّعام فيه للتَّسخين، وأبونا بيشُوي لا يعرف هذا الجهاز، فمدَّ يدُه ليُخرج الطَّعام، فإتكوت في الفُرن، وظلَّت بصمة الحرق بيده حتَّى نياحته، فَقَالَ للرَّاهبْ مُعاتباً: " يعني علشان أنت طالعْ المضيفة تكروتنا! "، فنظر لهُ الرَّاهبْ وظلَّ صامتاً مُتألِّماً لألمُه، فلكي ما يُزيل عنهُ الإحراج، قَالَ لهُ أبونا بيشُوي: " إيه يا أبونا، ها نأكُل ولاَّ أمشي! "، وكأنَّ اليد الَّتي حرقتها النَّار ليست يدُه.

٨. الصمت المُعزِّي

[إذا أردت أن تعرِف رجُل الله، فاستدِل عليه مِنْ دوام سكوتُه].

(القدِّيس مار إسحق)

عندما سألت الآباء المُقرَّبين مِنْ أبينا بيشُوي عن صمتُه، فَقَالَ أحدهُمْ: " لا يُوجد أحد يفوق أبينا بيشُوي في الصمت "، ومَنْ قَالَ: " كان لهُ الصمت المُعزِّي "، وقَالَ آخر: " كان لهُ الصمت الجميل "، وقَالَ غيرهِمْ: " كان صمتُه يمنح السَّلام حتَّى لو لم يتكلَّم "، وقَالَ آخر: " لا أستطيع أن أحكي ما تعلَّمتهُ منهُ، لأنَّ صمتُه كان أحكم مِنْ الكلام، فهو صاحبْ الصمت المُعبِّر "، وهذا يُوافق قول القدِّيس غريغوريُوس الثيؤلُوغُوس: **[يا ليت يكُون للكلام منفعة كمنفعة السُّكُوت]**.

قَطَعْ أبونا بيشُوي شوطاً طويلاً في فضيلة الصمت، وصمت الفم في حد ذاتُه ليس فضيلة، ولكِنْ مع صمت الفم عن الكلام مع النَّاس، يتكلَّم العقل والقلب مع الله.

وهذا ما كان يشغل دائماً أبونا بيشُوي، خصُوصاً في أواخر أيَّام حياتُه، وعندما بدأت الذَّاكرة تضعُفْ قليلاً اعتمد في صمتُه على صلاة يسُوع " يا ربِّي يسُوع المسيح ارحمني ... ".

في إحدى المرَّات نزل للعلاج، فسألهُ الرَّاهبْ المُرافق لهُ: " يا أبونا بيشُوي، أنا ما شُفتكش مسكت أجبية ولا قُلْت مزمُور "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " لازم يكُون الرَّاهبْ تدبيرُه مخفي عن أي حد، حتَّى مِنْ الرُّهبان إخواتُه ". ويُكمل الرَّاهبْ كلامُه قائلاً: " كُنت أراه يجلس على السَّرير ويُثبِّتْ نظرُه للأمام لفترة طويلة بلا حركة ولا كلام. وهذه الفترات بالتَّأكيد كان فيها في حالة صلاة، إمَّا في صلاة المزامير المحفوظة أو في الصَّلاة السَّهميَّة ". وحينما كان يجلس معهُ الرُّهبان، كان يصمُت ويتركهُمْ يتحدَّثُون معاً، وعندما يسألونُه عن رأيُه في أمر ما، يجدُونُه غير مركِّز معهُمْ في الحديث، رغم أنَّهُ يجلس بينهُمْ وينظُر لهُمْ. وكان دائماً يقُول للرُّهبان: " أهم شيء الهدُوء والسُّكُون، لكي يجلس الرَّاهبْ صامتاً ويتكلَّم مع ربِّنا، لأنَّنا عندما نتحدَّث مع الآخرين، ننشغل عن الحديث مع الله ". وعندما كان يجد أنَّ حديث مَنْ حولُه بدأ يُشوِّش هدُوء فكرُه ويقطع صمتُه المُقدَّس، كان يقُول لهُمْ: " عايزين شويَّة هدُوء ".

٩. عدم القنْيَة

[محبَّة المُقتنيات تُزعجْ العقل، والزُّهد فيها يمنحهُ استنارة].

(الأنبا مُوسَى الأسود)

بدأت فضيلة التَّجرُّد عندُه مُنذُ الصِّغر، فكان في المنزل لا يملُك أي شيء سوَى الحُجرة الَّتي حوَّلها لكَنيسَة صغيرة أو قلاية صغيرة خاصَّة به. وفي الدَّيْر كان لا يملُك أي شيء، فقلايته تشهد لهُ بالفقر الاختياري الَّذي نذرهُ وقطعهُ على نفسُه يوم رهبنتُه، فكانت كل مُحتوياتها: في المضيفة كُرسي بلاستيك يجلس عليه دائماً، وترابيزة صغيرة يأكُل عليها، ومرقد خشبي بلا مرتبة يستريح عليه قليلاً الرَّاهبْ الَّذي يخدمُه، أمَّا المحبسة ففيها مرقد خشبي صغير، ارتفاعُه حوالي ١٠سم عن الأرض، وكان منظرُه

يُمزِّق القلب حينما ترى شيخاً بلغ واحد وثمانين عاماً، يُلقي جسدُه أرضاً ليركع على الرُّكب، ثُمَّ يُلقي بنفسُه على المرقد المُنخفض هذا. وكُرسي خشبي وترابيزة بسيطة للقراءة ودُولاب ألوميتال صغير لحفْظ ملابسُه القليلة. هذه هي قلايته وبمُحتوياتها. لم أرى في الدَّيْر أو أي دَيْر آخر قلاية بمُستوى قلاية المُتنيِّح أبينا بيشُوي، حتَّى أنَّنا كُنَّا في حيرة شديدة عندما يسألنا أفراد أُسرتُه عن شيئاً مِنْ مُقتنياتُه للبَرَكَة، فماذا نُعطيهُمْ؟ فملابسُه معدُودة، وأدواتُه قليلة، فكيف نُرضي الجميع؟

أمَّا عن العطاء فحدِّث عنهُ ولا حرج، لا يُوجد شيء عندُه عزيز عليه، كل ما تمتد إليه يدُه يُوزِّعُه على الآخرين، دُونَ النَّظر إلى قيمتها المادِّيَّة، رخيصة أو غالية. عندما رجع أحد أقاربُه مِنْ العراق أحضر معهُ هديَّة قيِّمة، وعلى حسب تعبيرُه تتناسب مع محبَّة ومكانة أبينا بيشُوي في قلبُه، قَبَلَهَا بفرح كعادته، بعد ما رجع قريبُه لمنزله زارهُ أحد الرُّهبان، فَقَالَ لهُ: " هذا الشيء حلو جداً "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " دي بتاعتك، مبرُوكة عليك. فاعتذر الرَّاهبْ قائلاً: يا أبونا أنا بأقول إنَّها حلوة، مشْ بأقول أنا عايزها "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " وأنا بأقولك دي بتاعتك، ها تأخُذها يعني ها تأخُذها "، ولم يسمح لهُ بالخرُوج مِنْ القلاية إلاَّ والهديَّة في يدُه. وعندما زارهُ قريبُه في المرَّة الثَّانية لم يجد الهديَّة، فسألهُ عنها، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " تلاقيها هنا ولاَّ هنا "، فسألهُ: " فين يعني؟ "، أجاب: " تلاقيها في أي حتَّة "، وكان يقصد تلاقيها في قلاية الرَّاهبْ الآخر.

ذات مرَّة وهو في زيارة الأُسرة بالقاهرة، دفع قريبُه الأُجرة وكانت عشر قرُوش للفرد، وعندما سألتهُ سيِّدة فقيرة صَدَقَة، أعطاها خمسة جُنيهات جديدة، وهذا مبلغ كبير جداً في ذلك الزَّمان. عندما كانت تزورُه الأُسرة، يأخُذ البَرَكَة الَّتي يُحضرُونها لهُ ويشكُرهُمْ عليها كثيراً، وبمُجرَّد خرُوجهُمْ مِنْ الدَّيْر يُوزِّع كل شيء على الرُّهبان حسب الاحتياج، فيأخُذ فطيرة في كيس ويذهب رغم شيخُوخته لقلاية راهبْ آخر يربُطها لهُ على الباب ويعُود دُونَ أن يعرفهُ أحداً، ثُمَّ يتصل ببعض عُمَّال الدَّيْر ويُعطيهُمْ اللُّحُوم والمأكُولات الَّتي عندُه، ولا يستريح إلاَّ بعد توزيع كل شيء في نفس

اليوم. وعندما يقُول لهُ الرَّاهِبْ الَّذي يخدمُه: " أبقِي لك جُزء منهُ! "، كان يقُول لهُ: " يا أبونا العُمَّال دُول غلابة، والأكل زيادة عندنا، المفرُوض أنَّنا نُعطي مِنْ إعوازنا ". كذلك كان سخياً في العطاء المادِّي للعُمَّال، فكان يأخُذ البَرَكَة الشَّهريَّة الَّتي يُعطيها لهُ الدَّيْر أو الَّتي يُعطيها لهُ أبونا فلتاؤُس، ويُفكَّها عشرات ويُوزِّعها على العُمَّال. وأيضاً حينما كان ينزِل لزيارة الأُسرة كان يجمع كل ما في القلاية مِنْ ملابس ومُعلَّبات وأموال ويُوزِّعها جميعاً على فُقراء قريته، ولا يُبقي لهُ سِوَى مبلغ عشرين جُنيهاً وجلباب ونعل حمَّام بلاستيك يعُود بِهُمْ لِلدَّيْر، في المُواصلات العاديَّة، ولا يُؤجِّر سيارة خاصَّة.

عندما ذهب للمُستشفى للعلاج أخذ مبلغاً كبيراً جداً وأعطاه لأحد أفراد التَّمريض، وقَالَ لهُ: " وزِّعُه عليك أنت وإخوتك "، وكانت بَرَكَة كبيرة أسعدت الجميع. وفي طريق العودة للدَّيْر أخرج مِنْ محفظتُه مبلغاً كبيراً وقَالَ لِلرَّاهِبْ المُرافق: " المبلغ كام؟ "، فَقَالَ لهُ: " كذا "، فأعطاه بَرَكَة للسَّائق. وفي القلاية قَالَ لِلرَّاهِبْ: " أصل أنا قُلت إن فُلان دا غلبان، ولو ادِّيتُه أقل مِنْ كده أبقى ظَلَمتُه [٢٨] ".

١٠. عدم الإدانة

[إيَّاك أن تسمع بسقطة أحد إخوتك، لئلاَّ تكُون دِنتهُ خفيةً].

(الأنبا مُوسَى الأسود)

تميَّز القُمُّص بيشُوي بالبُعد عن الإدانة مُطلقاً، فشهد عنهُ الآباء بالدَّيْر أنَّهُ لم تأتي على لِسانُه سيرة أي مِنْ الرُّهبان طُوال حياتُه، كما أنَّه لم يتدَّخل في سياسات الدَّيْر، ولا مشاكِل أي مِنْ الرُّهبان، بل كان يكتفي بالصَّلاة مِنْ أجل المُشكلة دُونَ الغوص في التَّفاصيل كي لا يدين أحداً. بعد نياحة الأنبا ثاؤفيلس تمَّ تعيين المُتنيِّح القُمُّص سيدارُوس السُّرياني رُبِّيتة لِلدَّيْر (أمين لِلدَّيْر)، وبعد فترة عَقَدَ البابا شِنُوده اجتماعاً

---

[٢٨] في حين أنَّ السَّائق يأخُذ مِنْ الدَّيْر مُرتباً، والرَّاهِبْ غير مُلزم بتقديم أي بركات لهُ، ولكِنْ حُبْ العطاء هو الَّذي ألزمهُ بذلك.

لرُهبان الدَّيْر لاختيار ... منيتي

هنا ليه؟ "، فقالُوا لهُ: " علشان ... يا

سِيدارُوس، ما هو راحِلٌ كو ... خل

في تفاصِيلها، لكنَّهُ يُصلِّي ...

إذا حدث أن ذهب إليه أحد ... حتى

ولو بفِكرُه فقط، كان ينتهِر بشأ ... دوح ده "،

عملاً بقول مار إسحق: [**أُستر ... يما تحملك**

رحمة الله. مَنْ يُزِيل مِنْ ضمِيرِه ... نك رداءك

على المُذنبْ واستُرُه].

في إحدى المرّات أعطى أبونا ... ايف

راهِبٌ آخر وقَالَ لأبينا بيشُوي: " ... المقلوس

مِنْ أبينا فلتاؤُس؟! "، فردَّ أبونا ... نسيبُ لنا

وزّع الوزنات وزَّعها براحتُه! إحنا ...

في فترة عقد الدَّيْر مجمعا لمُحـ ... نا بيشُوي

هذا، دخل قلايتُه وأغلق على نفسه ... بعد انتهاء

الموضُوع، وعندما قابل الرّاهبُ ... يطلبُوا

شهادتِي، وأنا لا أستطِيع أن أشهد ... القصير: [**أنّ**

هذا أخطأ اليوم، ولكنَّهُ رُبما يتوب ... طى مُهلة

كي أتُوب، هكذا يجبْ أن نُفكّر ولا

١١. النُّسْك

[خُذْ لنفسك شفاءً لحياتك مِنْ على مائدة الصَّوامين، أُولئك العمالقة في الرَّب، وانهض نفسك مِنْ موتها].

(القدِّيس مار إسحق)

كلمة " النُّسْك " في المفهُوم الرَّهباني كبيرة وشاملة، فهي لا تقتصر فقط على النُّسْك في الطَّعام، لكنْ السَّهر الرُّوحي هو نُسْك، والصَّلاة الدَّائمة هي نُسْك، والحَبْس في القلاية هو نُسْك، وبالإجماع كل الفضائل الرَّهبانيَّة هي نُسْك رهباني. وفيها جميعاً قَطَعَ أبونا بيشُوي شوطاً كبيراً. أمَّا عن نُسْكه في الطَّعام فكان كبيراً أيضاً، ففي بداية رهبنتُه، كان الدَّيْر يُعطي كل راهبٍ مبلغ ثلاثة جُنيهات كَبَرَكَة شهريَّة، فيشتري منها أبونا بيشُوي الخُضار والكيرُوسين للمُوقد، وكان الدَّيْر يُعطيهُمْ اللُّحُوم عدَّة مرَّات معدُودة في العام، فكان يقطع الخُضار والطَّماطمْ والبصل ويضعهُمْ في الإناء ويقُوم بسلقهِمْ جميعاً، ولعدم وجُود ثلاجة كان يغلي الإناء صباحاً ومساءً. وعند الأكل يضع في الطبق ملعقة سمن في الأيَّام الَّتي ليس فيها صوم، وملعقة زيت في أيَّام الأربعاء والجُمعة، أمَّا اللُّحُوم فكان يسلُقها نصْف تسوية، ثُمَّ يقُوم بتتبيلها بالملح، ويُجففِّها في الشُّباك أو يُعلِّقها مثْل العُقد على الحائط، ويأخُذ منها حسب الاحتياج. ثُمَّ دخل في تدريب نُسْكي أعظم مِنْ هذا، فكان يأكُل خُبزة واحدة مِنْ الغرُوب للغرُوب، وحسب تعبيرُه: " نشفْت وبقيت زي الحطبة "، لذلك أوقف هذا النُّسْك وعاد لطقس الصِّيام المُعتدل.

بعد عودتُه مِنْ الخدمة واستقرارُه في الدَّيْر، كان لا يطبُخ ويعتمد على الطَّبيخ العام الَّذي يُقدِّمُه الدَّيْر لِمَنْ يُريد مِنْ الآباء، وهو الفُول يوم الأربعاء والعدس يوم الجُمعة، فكان يأخُذ كميَّة منهُما تكفيه طُوال الأسبُوع. وكان عُمرُه في ذلك الوقت تجاوز الخمسين عاماً، ومع ذلك يعتمد طُوال الأسبُوع على الفُول والعدس فقط. وعندما عَلَمْ الآباء بذلك، كان بعضهُمْ بين الحين والآخر يطبُخ لهُ خُضار ويُقدِّمُه لهُ، فمهما

كان نُوعُه أو جودتُه يقبلُه منهُ بوافر الشُّكر والعرفان.

مِنْ شدَّة نُسْكُه كان يحرِم نفسُه مِنْ أشياء كثيرة تُقدَّم لهُ ويُقدِّمها للآخرين، فإذا وزَّع الدَّيْر فاكهة كان يُوزِّعها على العُمَّال، ويترفَّعْ هو عن تذوُّقها، وقبل أن يحين توزيع المِرْس الجديد كان يُوزِّع كل ما لديه مِنْ المِرْس القديم، حتَّى القُماش الأسود كان يُوزِّعهُ على الرُّهبان الجُدُد، ويكتفي لِنفسُه بالقديم، قائلاً: " الرَّاهبْ أي حاجة تكفيه، المُهم حاجة تستُر الجسم وخلاص ". أمَّا عن الثَّلاجة فكان لها قصَّة، حيثُ كان يرفُض الفكرة برُمتها، لذلك اشتراها لهُ أبونا فلتاؤُس وقدَّمها لهُ كهديَّة، قَبَلَهَا تحت الإلحاح، وكان يقُول: " الرَّاهبْ زي العصفُورة، وجبة بوجبة "، ويأكُل الطَّبيخ العام.

ذات مرَّة اشترى أبونا فلتاؤُس مجمُوعة بطاطين قيِّمة، وكان يُوزِّعها على الرُّهبان المُحتاجين والمرضى، فَقَالَ أحد الآباء لأبينا فلتاؤُس: " أعطِي بطانيَّة لأبينا بيشُوي "، فَرَدْ أبونا فلتاؤُس: " حرام عليك يا أبونا. أنت كِده ها تضيَّعْ نُسْك الرَّاجِل، هو فرحان بالبطاطين الرِّخيصة الَّتي عندُه ". وعندما ذهب أبونا فلتاؤُس لِزيارة أبينا صليب، قَالَ أبونا بيشُوي: " يا أبونا فلتاؤُس، أنا عايز بطانيَّة مِنْ البطاطين الحلوة اللي أنت جبتها دي "، فَقَالَ أبونا فلتاؤُس: " أنت عندك كام بطانيَّة يا أبونا بيشُوي؟ "، أجاب: " اثنين خُفاف "، فَقَالَ أبونا فلتاؤُس: " تعال وريني "، ثُمَّ دخل أبونا فلتاؤُس محبسة أبينا بيشُوي وقَالَ لهُ: " عندك اثنين، كفاية كِده يا أخويا. الرَّاهبْ لازِم يتنسَّك شويَّة ويتغطَّى بالرِّخيص "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " خلاص ... ماشي ".

في بداية رهبنتُه كان يسخَّنْ المياه في إناء على الكانُون، ثُمَّ مُوقد الكيرُوسين، وأخيراً البُوتاجاز للاستحمام، مُستخدماً كُوب بلاستيك أو مِنْ المعدن، أو لغسل الملابسْ، وعاش هكذا راضياً شاكِراً ما يقرُب مِنْ ثلاثين عاماً، حتَّى أحضر لهُ أحد الآباء سخَّان كهرباء صغير coil، يضعُه في الإناء لتسخين الماء، فَقَالَ لِلرَّاهبْ: " ومالُه البُوتاجاز؟ "، ورفض أن يأخُذُه. بدأ الرَّاهبْ يجرِّبه، وعندما وجد الماء يسخن بسُرعة، قَالَ: " الله، دا حلو خالِص السَّخان ده. أبقَى هات لِيْ واحِد زيُّه "، فَقَالَ لهُ الرَّاهبْ:

" دا أيك. … م … بقول للراهب: " هو ده
ثمنه كام"

١٢

(القدّيس يحنس القصير)

(الأنبا موسى الأسود)

… وإنكار للذات لأبعد الحدود، بلا
… ثل شيء. فإذا اجتمع مع الرهبان
… أيه يقول لهم: " أنتم عارفين كل
… وحينما يُلحون عليه كان يتكلم
… أحد الرهبان بمجموعة أسئلة، فقال
… عني، وأنا ولا حاجة! "، وعندما
… يه علشان تصلي له؟! "، أجابه:
… أنه بصلاتي، والناس تدخل

… نه، لكن من كان يصل إليه لا
… حة صلاة ". ومن هذه المواقف،
… قدير صعد القلاية أبينا بيشوي ومعه
… نعناع … و …

تلاث

… الله نصلي، فقال أبونا بيشوي:
" … واستجاب الله لصلاته. وعندما

كان هذا الشخص يزُور الدَّيْر ويقُول لأبينا بيشُوي: " دا ابنك اللي اتولد بصلاتك! "، كان يقُول لهُ: " لا، دا المسِيح اللي بيدِّي، ودي كلِمة قُلتها وخلاص ".

✝ ذهب لهُ أحد الرُّهبان وطلب منهُ أن يُكلِّم قريبتُه في أمريكا، فَقَالَ لها أبونا بيشُوي: " أنتِ عايزة إيه؟ "، فقالت: " عايزة ولد يخاوِي البنت "، فسألها: " أنتِ عايزة تسميه إيه؟ "، أجابتُه: " كيرلُس "، فرفع وجهُه للسَّماء وقَالَ: " ربِّنا يُعطِيكِ اثنين "، وبالفِعْل ولدت كيرلُس، وبعدها ولدت ابناً آخر.

✝ ذهب شاب للعمل في الكويت، وتم فصلُه مِنْ العمل ولُمدِّة ستَّة أشهُر لم يجِد عملاً، ذهب أحد الرُّهبان يطلُب صلاتُه مِنْ أجل هذا الشَّاب، فرفع وجهُه للسَّماء وقَالَ: " ربِّنا يتمجَّد ويُرسِل لهُ شُغل "، وفي خِلال أسبُوع وجد عمل مُراقِبْ عُمَّال، وليس عامِل وبمُرتب مُجزِي.

✝ سيِّدة مِنْ الصَّعِيد طلبت صُورة المُتنيِّح أبينا بيشُوي، أخذتها بفرح ثُمَّ صلَّت وتشفَّعت بهِ ونامت، رأتْه ماشياً على السَّحاب بزيُه الكهنُوتي الأبيض، وعلى رأسُه شملة بيضاء، مُمسكاً الصَّليب بيدُه اليُمنى والكِتاب المُقدَّس بيدُه اليُسرى، فقالت لهُ السَّيِّدة: " صلِّي ليَّ يا أبونا، نفسِي في آخرة زِينة "، فاقترب منها على السَّحاب وابتسم لها ثُمَّ اختفى.

١٣. عدم الخُلطة مع العلمانيين

[مَنْ يُكثِر مِنْ الاختِلاط بالنَّاس، لا يُمكنهُ أن ينجُو مِنْ النَّميمة].

(الأنبا بيمِنْ)

إنَّها فضِيلة رهِيبة في أبينا بيشُوي، فهو الَّذِي عاش عُمرُه كُلُّه في العالم كشمَّاس خادِم، أو كاهِنْ مُتبتِّل، أو حتَّى راهِبْ كاهِنْ يخدِم في العالم وسط العلمانيين والمعارِف والأصدِقاء. عندما عاد إلى الدَّيْر انسلخ مِنْ كل هؤلاء بطريقة عجِيبة وبهدُوء شدِيد، فابتعد عن الكل وهو يُحِبْ الكل، وجعل الكل يستمِر في حُبُّهُمْ لهُ رغم بُعدُه عنهُمْ،

كقول الأنبا مقار الكبير: **[رأيتُمْ عِظَمْ المنفعة مِنْ الهرُوب مِنْ العالم، لأنَّهُ نافِعْ لنا جداً ومُوافِق، لأنَّ مجالس العلمانيين ليس فيها شيء سِوَى البيع والشِّراء، وما يتعلَّق بالنِّساء والأولاد والزَّرع والدَّواب، فهذه المُخالطة تفصِلْ الرَّاهِبْ عن الله، فمُشاركتهُمْ في الأكل والشُّرْب تجلبْ الكثير مِنْ الضَّرر، وليس نعني بهذا أنَّ العلمانيين أنجاس، معاذ الله، لكنَّهُمْ يسلكُون في الخلاص طريقاً آخر غير طريقنا]**.

هذا كان حالُه مع العلمانيين، فبدأ ينسلخ منهُمْ قليلاً قليلاً، وحينما كان يصلْ أحدهُمْ لقلايته يسلِّم عليه ويدعُو لهُ، فإذا سألهُ كلمة منفعة، كان يقُول لهُ: " الكُتُبْ عندك، اقرأ فيها، أنت جاي تأخُذ منِّي كلمة منفعة هُنا! "، وذلك ليقطع صلتُه بالعلمانيين، حتَّى اقتصر على إخواتُه وأولادهُمْ فقط، واستعاض عن الجلُوس مع العلمانيين بالجلُوس في القلاية، وعن الحديث مع العلمانيين بالحديث مع الله، لذلك لم يكُنْ عندُه وقت فراغ ليقضيه مع طرف ثالث.

١٤. الهرُوب مِنْ المديح

[كما ينحل الشَّمع قُدَّام النَّار، كذلك نفس الإنسان قُدَّام المديح تنحل قُوَّتها].

(الأُم سفرنيكي)

عرف أبونا بيشُوي أنَّ المديح مِثْل الدُّودة الصَّغيرة الَّتي تنخُر جذع شجرة عملاقة وتُسقطها، لذلك كان يقطع الطَّريق مِنْ بدايتُه أمام هذه الآفة الرُّوحيَّة الخطيرة. وعندما كان الرَّاهِبْ الَّذي يخدمُه يمتدح أي شيء فيه، كان يقُول لهُ: " بس .. بس .. اُسكُتْ شويَّة "، أو يقُول لهُ: " عايزين شويَّة هدوء "، أو يقُول: " اقفل على الموضُوع ده ". وعندما كان يمدحُه أمام الآخرين، كان يقُول: " سيبُه خلِّيه يفرِج عن نفسُه شويَّة "، أي أنَّ الكلام الَّذي يقولُه غير صحيح. وهذا عين التَّواضُع والهرُوب مِنْ المجد الباطل، لأنَّ الرَّاهِبْ كان يقُول القشُور الخارجيَّة، أمَّا العُمق فكان كنزاً مختُوماً، ومِنْ تعاليمُه في هذا الصدد:

- كل كلمة مديح أو مجد تأخُذها، تكُون بديلاً لبركات السَّماء.
- كلمة " الله يعوَّضك "، مُمكِنْ تكُون أُجرتك.
- هو الواحِد كُلَّما كَبَرْ في السِّنْ بقى قِدِّيس!
- متخليش حد يمدحك.

لِذلِك حينما كان يمتدِحُه أحداً، كان يغيِّر الموضُوع بسُرعة أو يتظاهر بالنُّوم.

١٥. الإحساس بالآخر

[اِسنِد الضُّعفاء، وعزِّ صغِيري النُّفُوس، كيما تسنِدك اليمِين الَّتي تحمِل الكل].

(القدِّيس مارِ إسحق)

✝ تمتَّع أبونا بيشُوي بفيض إلهِي مِنْ الحُبْ نحو كل النَّاس، وهذا الحُبْ جعلهُ يشعُر بكل راهِبْ ويُقدِّر مشاعرُه وأحاسيسُه، ويتعايش مع كل مُشكِلة يمُر بها الرَّاهِبْ كما لو كانت تخُصُّه هو شخصياً، والغرِيب أنَّهُ في كل هذا يحفظ الهدُوء والسُّكُون، فكان يكفِي الرَّاهِبْ الَّذي يمُر بضِيقة أن ينظُر لهُ فقط نظرة أُبُوة مليئة بالعطف والحنان، فتُزِيل مِنْ نفسيتُه الكثير مِنْ الرواسِبْ وتُعزيه كثيراً، وكان يُشجِّعُه بكلمات قليلة، لكنَّها لها قُوَّة الرُّوح القُدُس المُعزِّي والمُفرِح. لِذلِك كانت دمُوع أبناؤُه الرُّهبان سخيَّة وغزِيرة يوم نياحته، لِشُعُورِهِمْ بالفراغ الَّذي خَلَّفهُ بالدَّيْر، وإن كُنَّا نثق أنَّهُ صَارَ شفِيعاً قوياً، لكِنَّها المشاعِر الطَّبيعيَّة.

✝ أراد الدَّيْر أن يُعطِي نِعمة القسِّيسيَّة لِمجمُوعة مِنْ الرُّهبان، ولِظرُوف مُعيَّنة تم تخطية أحدهُمْ، فسهر مع هذا الرَّاهِبْ حتَّى مُنتصف اللَّيْل، يُحدِّثُه عن الرَّهبنة والهدُوء والسُّكُون، وتعمَّد إطالة الوقت معهُ حتَّى نسى الرَّاهِبْ أمر الكهنُوت وتأخُّرُه عن دُفعتُه.

✝ مِنْ اهتِمامُه بمشاعِر الآخرين، كان يهتم حتَّى بالأُمور الَّتي تبدو لِلبعض

صغيرة، فعندما يُقدِّم لهُ أحد الرُّهبان أي طعام، كان يقُول للرَّاهبْ الَّذي يخدمُه: " هات الغذاء مِنْ أكل أبونا (فُلان) "، فيأكُل منهُ أمامُه ويشكُرُه كثيراً ويدعُو لهُ بالبَرَكَة أكثر، ويُشعرُه أنَّهُ كان يتمنَّى أن يأكُل هذا الطَّعام مُنذُ فترة طويلة، والطَّعام الموجُود عندُه في الثَّلاجة حتَّى لو كان أغلى وأجود يُوزِّعُه على العُمَّال.

✝ أيضاً في فترات الصِّيام – قبل فترة المرض الأخيرة – عندما كان يرى أنَّ الآباء الَّذين يخدمُونُه لا يأكلُون إلاَّ معاً، فكان أحياناً يحِلْ صومُه الانقطاعي ويقُول لهُمْ: " كفاية كده، هاتُوا نأكُل "، فيأكُل قبل الميعاد بساعة أو ساعتين، لأنَّهُ رأى أنَّ أحدهُمْ تعبان أو مريض أو مُرهق، فكان يقِيس نفسُه على الآخرين، ولا يقِيس الآخرين على نفسُه.

✝ تعرَّض أحد الآباء لمُشكلة كادت تُزعزِع سلامُه واستقرارُه في الدَّيْر، وجعلتهُ يعِيش مُضطرباً، فذهب وقَالَ لهُ: " يا أبونا بيشُوي صلِّي مِنْ أجلِي، أنا تعبت وزهقت ومشْ عارِف أعمِل إيه! "، فنظر لهُ نظرة عمِيقة فاحِصة وأخذ يُصلِّي، ثُمَّ قَالَ: " خِلال الأسبُوع ده كل حاجة ها تنحل "، وأخذ الأسبُوع في صلاة عمِيقة مِنْ أجلُه، وبنِهاية الأسبُوع كانت كل المشاكِل قد حُلَّت، وعاد لِهدُؤُه وسكونُه وسلامُه.

✝ ذهب لهُ أحد الرُّهبان وقَالَ لهُ: " صلِّي لأجلِي يا أبونا بيشُوي، علشان عندي أعمال كثِيرة وهامَّة بالدَّيْر، وخايِفْ العمل يفشل وأُصاب بالإحباط "، فَقَالَ لهُ: " ما أنت حلو أهُه وكويس، والعمل سيكُون على ما يُرام، ما تخافش وربِّنا معاك "، ثُمَّ صلَّى لهُ كثِيراً، وعندما كان يراه كان يسأَلُه: " إيه أخبار العمل؟ تمَّتْ المرحلة الأُولى؟ ابدأ في الثَّانية، ما تخافش، ربِّنا معاك، العذراء والقدِّيسين ساندينك "، فهذا الكلام القلِيل البسِيط كان مِثْل شاحِنْ البطاريات الَّذي يُشعِل الرُّوح والجسد في الرَّاهبْ، حتَّى أنَّهُ قَالَ لِي: " أنَّني تعمَّدت أن أزورُه كثِيراً، لأنَّني شعرت أنَّ ربِّنا أعد أبانا بيشُوي خصِّيصاً

ليكُون سنداً وعوناً ومُشجِّعاً ومُثبِّتاً لِي في الدَّيْر "، وقَالَ راهبٌ آخر: " أنَّني كُنت أتعمَّد أن أسير مِنْ أمام مبنى القلالي الَّذي به قلايته وأقُول لهُ حاللني يا أبونا بيشُوي "، فأسمع مِنْ فمُه الطَّاهر فقط كلمة " الله يحالَّك ".

✝ توفِّى أخو أحد الرُّهبان بطريقة مُفاجأة في سِنْ صغير، فكانت تجرُبة قاسية ومُؤلمة للجميع، وكان أبونا بيشُوي في حوالي الثَّمانين مِنْ عُمرُه، لكنَّهُ أخذ سيَّارة وذهب لهذا الرَّاهبْ في الجبل وجلس معهُ فترة طويلة يُحدِّثُه عن السَّماء وجمالها، والأرض وشقاءها، وشوق النَّفْس التَّائبة إلى السَّماء، فتعزَّى الرَّاهبْ جداً وشَعَرْ بسلام عظيم لآثر هذه الزِّيارة المُباركة مِنْ الشَّيخ الوقُور.

✝ يقُول أحد الآباء الكهنة في العالم أنَّ أبونا بيشُوي كان يشعُر بي في الخدمة كثيراً، فعندما أكُون في مُشكلة أو ضيقة أجد المُوبايل يرنْ ويكُون هو المُتصل، فيقُول: " أنت وحشتني أوي أوي يا أبونا (فُلان)، خلِّينا نشُوفك "، فأقُول لهُ: " صلِّي لِي لأنِّي في مُشكلة "، فيرُد عليَّ: " ما تخافش، ربِّنا معاك، صلوات العذراء والقدِّيسين ". ولقد كرَّر هذا الموقفْ كثيراً، لدرجة أنَّني في مشاكل الخدمة كُنت أتوقَّع تليفُون منهُ في أي وقت، وكثيراً ما تمَّ هذا. فإذا سألتهُ عن صحَّته يقُول لِي: " عايز قلبك مِنْ ناحيتي يكُون مُطمئنْ، وأنا كويس جداً جداً، وكُنْ مُطمئنْ جداً "، فأقُول لهُ: " عايز حاجة أجيبها لك معايا؟ "، يقُول: " لا ينقُصنا إلاَّ رُؤياك، الدَّيْر مِشْ مخلينا عايزين حاجة، وخير العذراء مكفِّينا ".

✝ وعندما يزُورُه أحد الرُّهبان، بالرَّغم مِنْ صمته الكبير، لكنَّهُ كان يشكُرُه على الزِّيارة ويقُول لهُ: " أبونا غالي علينا، وما بيجيش كتير "، أو " أبونا مبارِكنا وبيسأل علينا، ومُتشكرين على تعبك وسُؤالك ".

✝ قبل نياحته بعدَّة أيَّام، كان معهُ بالمُستشفى القُمُّص فليمُون السُّرياني، فَقَالَ للرَّاهبْ المُرافق لهُ: " هات ظرف ليس عليه كتابة، وضع فيه مبلغ (كذا)، واذهب لِحُجرة أبينا فليمُون وقُول لهُ: « ابنك بيشُوي بيسلِّم عليك وباعت

لك البَرَكَة دي، وبيقُولك ما تِكسفهُوش، وصلّي مِنْ أجلِي » ".

١٦. احترام المسؤولين

[مُحادثة الفُضلاء، والمُشير الحكيم سُور رجاء].

(مارِ إسحق السُّرياني)

تميَّز أبونا بيشُوي بأدب رهباني جم جعلهُ يحترِم ويُطيع المسؤولين في الدَّيْر جداً، ويُقدِّر كل مسؤول ويُعطيه الاحترام والإكرام اللائق به، ورغم أنَّهُ مر بمجمُوعة مِنْ التَّجارُب والضِّيقات في عصر المُتنيِّح الأنبا ثاؤفيلس، إلاَّ أنَّهُ عندما كان يتكلَّم عنهُ، كان يتكلَّم عن قدِّيس مُعاصِر، لهُ أيادي بيضاء على الرَّهبنة عامَّةً، ودَيْر السُّريان خاصَّةً. كذلك حُبُّه الَّذي لا يُعبَّر عنهُ لنيافة الأنبا متَّاؤس – أطَالَ الله حياتُه – واحترامُه الشَّديد لشخصه، في غيابُه وحضُورُه. وكان يُوصِي الرُّهبان الأصغر منهُ قائلاً: " أمام سيِّدنا والرُّؤساء لا نهزَّر ولا نضحك ". وكثيراً ما كان يسأل عن صحَّة سيِّدنا نيافة الأنبا متَّاؤس، ويدعُو لهُ بوافر الصِّحة وطُول العُمْر، وكان نيافته يُبادِلهُ نفس الحُبْ والاحترام، ويدعُوه " الأب الوقُور ".

كذلك يحترِم الرُّبيتة (أمين الدَّيْر)، ويقُول: " أبونا الرُّبيتة بيتعب معانا "، أو " أبونا الرُّبيتة بيتعب كتير، ربُّنا يُعوِّضُه ". تأثَّر جداً لنياحة البابا شنُوده الثَّالث، وأخذ يُصلِّي بحرارة أن يُنيِّح الله نفسُه ويختار الشخص المُناسِبْ ليجلس على كُرسِي مارِ مرقُس الرَّسُول، ولم يرتاح قلبُه إلاَّ بعد ما أعلنت السَّماء اختيار الأنبا تواضرُوس الأُسقف العام ليكُون البابا الـــ (١١٨)، باسم " قداسة البابا تواضرُوس الثَّاني ".

١٧. احترام الأسرار الكَنَسيَّة

[إذا كُنت واقفاً في القُدَّاس، فراقِبْ أفكارك لكي تُوقفْ جسدك وحواسك بخوف الله، لتستحق أن تتناول مِنْ القُربان الَّذي هو جسد المسيح ودمُه الأقدسين، فيشفيك الرَّبُّ].

(الأنبا إشعياء الإسقيطي)

كانت أسرار الكَنيسَة عامَّةً لها قُدسيَّة خاصَّة في قلبه، فكما سبق وقُلنا أنَّ صلاة القُدَّاس تستغرق أربع ساعات، وصلاة تقديس قُدَّاس المعمُوديَّة تستغرق ساعة ونِصْف، والإكليل ساعتان، هذا مِنْ ناحية صلاته الطَّقسيَّة للأسرار، أمَّا مِنْ ناحية مُمارستُه الرُّوحيَّة للأسرار، فكان لكل سر يُمارسُه طقس خاص، فعندما يُريد الاعتراف، كان يذهب لدَيْر الأنبا بيشُوي ليعترف على يد نيافة الأنبا صرابامُون. وفي شيخُوخته كان يُرسل أحد الآباء ليأخُذ لهُ ميعاد مِنْ نيافته، ويذهب بالسَّيارة في الميعاد المُحدَّد. وعندما اشتدَّ عليه المرض وتورَّمت قدميه، كان نزُول السُّلم بالنسبة لهُ كالعمليَّة الجراحيَّة مِنْ الخطُورة والصُّعُوبة ما يكفي. ومع ذلك كان يُصر على الاعتراف في ميعادُه، فينزل السُّلم ببُطء شديد، وبعد الاعتراف يصعد ببُطء أشد وألم أعظم، رغم أنَّهُ كان يرفُض زيارة الأُسرة لهُ لصُعوبة نزُول وصعُود السُّلم. ورغم كل اهتمامُه هذا بسر التَّوبة والاعتراف، إلاَّ أنَّهُ أصرَّ على عدم أخذ الاعترافات سواء للرِّجال أو للسَّيِّدات طُوال فترة خدمته بالعالم. وعندما عاد للدَّيْر رفض أيضاً أي اعترافات سواء للرُّهبان أو للكهنة المُتزوجين، وذلك لكي لا يُشوِّش على فِكرُه، وحتَّى لا يعرف ما لا يُريد معرفتُه مِنْ خلال الاعترافات.

أمَّا عن سر التَّناوُل المُقدَّس، فكان لهُ قُدسيَّة ومكانة لا يُعبَّر عنها، ويقُول: " دا حاجة كبيرة قوي، دا مشْ خُبْز، دا جسد المسيح نفسُه ولازم نهتم به ". لذلك كان يقضي اللَّيْل ساهراً يتأمَّل في آيات الكتاب المُقدَّس الَّتي عن التَّناوُل، حتَّى يدخُل الرَّاهبْ الكاهنْ بالأسرار المُقدَّسة.

البَابُ الثالِث

رِحْـــلَة مَـــعَ

المَـــــــرَضْ

المَرَضْ

[مَنْ يخاف مِنْ مرض الجسد، فهو عادِم الفضيلة، وإذا انعتق بالكمال مِنْ الآلام، فحينئذٍ يسير بغير مانِعْ].

(الأنبا يُوسُف التَّبايسي)

رُويداً رُويداً بدأت تزحف عليه الأمراض، وكانت تشتد ضراوتُه كُلَّما تقدَّم في الشَّيخُوخة، فبدأ بعمليَّة البواسير، ثُمَّ أصابهُ مرض السُّكر، ثُمَّ عدَّة جلطات بأماكِنْ مُتفرِّقة بالجسم، وارتِفاع ضغط الدَّم، وتصلُّب بالشَّرايين، تضخُّم بالقلب، ضعف وهبُوط شديد بعضلة القلب، مشاكِل بالكُلَى، مشاكِل جلديَّة بالقدمين، قصُور في الدَّورة الدَّمُويَّة الطَّرفيَّة، تورُّم القدمين، مشاكِل بالنَّظر، وغيرِها مِنْ الأمراض الأُخرى، ومع ذلك كان يرفُض بشدَّة النُّزُول للعِلاج بالقاهِرة، فبعد إلحاح شديد ومُحايلة عظِيمة كالأطفال، وتبسيط الأُمور لأقصى ما يُمكِنْ، يقبل أن يترِل للعِلاج بالقاهِرة، وبالشُّرُوط الَّتي يُحدِّدها هو شخصياً. وكان نظامُه في المُستشفى لا يستخدِم التِّليفزيُون نهائياً، حتَّى في القنوات الدِّينيَّة، وإذا طلب الرَّاهِبْ المُرافِق لهُ أن يستمِع لِصلاة التَّسبحة أو القُدَّاس كان يرفُض بشدَّة، وطُول مُدَّته في المُستشفى إمَّا نائماً على السَّرير أو جالِساً على الكُرسي في حالة صمت تام وتأمُّل عجيب، كما أنَّ باب الحُجرة لا يُترَك مفتُوحاً نهائياً، فيُغلَق مُباشرةً بعد دخُول أحد الأطباء أو طاقِمْ التَّمرِيض. وإذا حدث أن زارهُ أفراد أُسرتُه، فكان يشكُرهُمْ جداً على تعبهُمْ واهتِمامهِمْ به، ويأخُذ المُعلَّبات والمأكُولات والفاكِهة الَّتي يُحضِرُونها لهُ ويُوزِّعها على عُمَّال المُستشفى، وكذلك يُوزِّع الأموال.

في المرَّة قبل الأخيرة نزل للمُستشفى ومكث بها ما يقرُب مِنْ الشهر، وكالعادة نزل بصعُوبة بالِغة رغم أنَّ حالتُه الصِّحيَّة كانت قد تأخَّرت جداً، حيثُ بدأ جِسمُه

يجمَّع الماء تحت الجلْد، وتورَّمت قدماه جداً مع الإحمرار، وأصابهُما التهاب خلوي، كما أنَّ كفاءة عضلة القلب تدنَّت لمُستويات خطيرة جداً، مع تكوُّن مياه على الرِّئة جعلت عمليَّة التَّنفُس تتم بصعُوبة بالغة. ومع ذلك كان يرفُض النِّزُول للعلاج، فاقترح عليه أحد الآباء أن يترِل للقاهرة لعمل الإشاعات والتَّحاليل اللازمة، على أن يعُود للدَّيْر في اليوم التَّالي، وتحت هذا الاقتراح وافق على النِّزُول، لكنَّهُ لم يستطعْ أن يقفْ على قدميه، فأحضر لهُ الآباء كُرسي مُتحرِّك منْ قلايته حتَّى السُّلم، ثُمَّ حملهُ الآباء وهو على الكُرسي منْ الدُّور الأوَّل حتَّى السَّيارة، بعد ما ركب السَّيارة قَالَ لهُ الرَّاهب الَّذي يخدمُه: " أعطني مُفتاح القلاية ليكُون معي حتَّى ترجع "، فرفض قائلاً: " مُفتاح قلايتي يكُون في جيبي، مشْ لمَّا أرجع أقعُد أدوَّر عليك أنت فين، عندك النُّسخة الأُخرى خلِّيها معاك ". نزل للقاهرة وخضع للعلاج ورجع للدَّيْر بعد حوالي شهر منْ العلاج المُتصل، وفي هذه الفترة تحسَّنت كفاءة القلب جداً، ونَقَصْ وزنُه كثيراً لكثرة تعاطيه مُدرَّات البُول، مثْل حُقَنْ lasix، فنقصت المياه المُتجمِّعة تحت الجلْد، وتمَّ علاج ورم القدمين، وعاد للدَّيْر ماشياً على قدميه بثبات.

عَاشَ في قلايته يُمارس قوانينُه الرَّهبانيَّة كسابق عهدُه، وكلَّف الدَّيْر اثنين منْ الرُّهبان لتبادُل خدمتُه ليلاً ونهاراً، وبعد حوالي شهر وهو داخل دورة المياه اختلَّ توازُنُه فسقط على الأرض، فَقَالَ لهُ الآباء: " يا أبونا، لازم تترِل القاهرة للعلاج "، فوافق بلا نقاش على غير العادة. والغريب أيضاً أنَّ حقيبة ملابسُه كانت شبْه فارغة، لم يأخُذ معهُ سوَى غيارين، ونزل بالطاقية فقط بدُون قُلنسوة، ولم يكُنْ بحقيبتُه لا طاقية ولا قُلنسوة، كما أنَّهُ نزل حافي القدمين، فوضع الآباء بجوارُه نعل، لكنَّهُ لم يلبسُه، وبمُجرَّد أن أركبهُ الآباء السَّيارة قَالَ للرَّاهبْ الَّذي يخدمُه: " خُذ المُفتاح خلِّيه معاك، أصل أنا مشْ محتاجُه ". ويقُول هذا الأب أنَّها أوَّل مرَّة يفعل هذا ويقُول هكذا.

في المُستشفى تم بسُرعة عمل الإشاعات اللازمة، وتبيَّنْ وجُود كسر بعظمة الفخذ، ومطلُوب على وجه السُّرعة عمليَّة تغيير مفصل. وقف الأطباء في حيرة

شديدة، فعامل السِّنْ – واحد وثمانون عاماً – ومشاكل السُّكر والقلب والصِّحة العامَّة تعُوق العمليَّة، كذلك الآلام المُبرحة الَّتي يجتازها أبونا تفُوق الوصف وتجعل أمر التَّأجيل مُستبعداً، لدرجة أنَّهُ منْ شدَّة الألم كان يصرُخ بصوتُه الجهُوري، فيلف صوتُه كل الدُّور. وذات ليلة أتت إحدى المُمرضات للرَّاهبْ المُرافق لهُ، وتقُول: " حاول تهدِّئ أبانا، المرضى اشتكُوا منْ شدَّة الصُّراخ، مشْ قادرين ينامُوا ".

في الصَّباح استدعى دكتُور العظام الرَّاهبْ المُرافق وقَالَ لهُ: " نحنُ الآن أمام خيارين كلاهُما أصعب منْ الآخر، إمَّا أن نعمل العمليَّة وهي مُخاطرة عالية جداً، والوفاة فيها مُحتملة بنسبة كبيرة جداً، أو نترُك أبانا على هذا الحال لمُدَّة شهر، بعدها العظم سيُكوِّن طبقة على طرفي الكسر تمنع الاحتكاك فيزُول الألم، ولكنْ ضريبتها أنَّ أبانا لن يقفْ على قدمُه مرَّة أُخرى، كما أنَّ الرِّجل سوف تقصُر طُولاً عن الأُخرى، وسوف يلف مشْط القدم ناحية الجنب، فبدلاً منْ أن تكُون الأصابع تمتد ناحية الأمام، سوف تلفْ ناحية القدم الأُخرى، وخلال هذه المُدَّة سنعتمد على الأقراص المُخدِّرة لتهدئة الألم وتخدير أبينا بيشُوي "، فَقَالَ الرَّاهبْ: " هذا قرار يفُوق اختصاصات عملي كمُرافق، نرجع للرَّاهبْ المسؤول عن خدمة المرضى في القاهرة "، الَّذي حضر للمُستشفى أثناء الحديث، وحضر معهُ دكتُور القلب المُعالج لأبينا بيشُوي، الَّذي اعترض على أقراص التَّرامادُول، وقَالَ: " أنَّ أبانا بعد شهر سيتحوَّل منْ مريض إلى مُدمنْ ". تعقَّد الأمر أكثر، فَقَالَ الرَّاهبْ المسؤول عن خدمة المرضى: " هذا قرار صعب لا أستطيع أن أتحمَّل توابعُه، لابُد منْ الرُّجُوع لسيِّدنا في هذا الأمر ". تمَّ الاتِّصال بنيافة الأنبا متَّاؤُس وبعد صلاة وتفكير قرَّر عمل العمليَّة.

ظُهر يوم الإثنين ٢٧ مارس، كان سائق نيافة الأنبا متَّاؤُس في المُستشفى، اطمأن على أبينا بيشُوي ونَقَلَ لهُ تحيات وصلوات نيافته وغادر المُستشفى، وعلى بُعد مسافة كبيرة منها عَلَمْ سيِّدنا في الدَّيْر أنَّ السَّائق في مصْر الجديدة، فأمرهُ بالعودة مرَّة أُخرى للمُستشفى، لكي ما يتحدَّث مع أبانا بيشُوي شخصياً، ويعجز القلم عن وصف السَّعادة والفرح الَّتي كان فيها أبونا بيشُوي حينما عَلَمْ أنَّ سيِّدنا يُريد أن يتحدَّث

معهُ، ونسى شِدَّة الألم، ونسى الكسر وأراد أن ينتصِبْ لكي ما يتحدَّث مع سيِّدنا مُنتصِباً، وأخذ يقُول بصوتُه العالي والدُّمُوع تملأ عينيه جُملاً مُتصِلة: " إزي نِيافتك يا سيِّدنا ... ربِّنا يخليك لِينا يا سيِّدنا ... أنا ما أستاهلش محبِّة نِيافتك يا سيِّدنا ... أنا بأشكُرك جداً أنَّك مُهتم بيَّ وبتسأل عليَّ "، وغيرها مِنْ الكلام الجميل الَّذي ينُم عن محبَّة عميقة واحترام جزيل لنيافته. في هذه الفترة اتَّصل به تليفُونياً الكثير مِنْ آباء الدَّيْر، وكان يقُول لكُلٍّ منهُمْ الكلمة الَّتي اعتاد أن يقولها لهُ في الدَّيْر، فكان الرُّهبان في قِمَّة السَّعادة لِسماعِهِمْ صوتُه، وهو مُتقِد الذِّهن، حاضِر الذَّاكِرة.

زارهُ في هذه الفترة أخويه وأولادهُما، وكان يبكِي بشدَّة بعد خرُوجِهِمْ مِنْ الحُجرة، فيقُول الرَّاهِبْ المُرافِق لهُ: " بتبكِي لِيه؟ "، يُجاوِبُه: " أصل أنا الآن كبير في السِّنْ – واحِد وثمانُون عاماً – وإخواتِي بيزعلُوا عليَّ علشان أنا بأنسى، ودي حاجة غصب عنِّي وخارجة عن إرادتِي "، فكان الرَّاهِبْ المُرافِق يُطمئِنُه أنَّهُ بصِحَّة جيِّدة وبِذاكِرة مُمتازة، ولم ينسَى أي شيء. وبالكاد يستطِيع أن يُغيِّر الموضُوع أو يُلهيه بأمرٍ آخر حتَّى يكُف عن البُكاء. وتكرَّر هذا الموقِفْ كثيراً، فكان بُكاؤُه تعبيراً عن حنينُه وعطفُه على إخواتُه، واهتِمامُه بالآخر أكثر مِنْ اهتِمامُه بنفسُه وبآلامُه.

عمليَّة ناجِحة

استقر الأمر على إجراء العمليَّة، فظهرت مُشكِلة التَّخدير، وهُنا بدأ البحث عن أُستاذ دكتُور تخدير يُعتمَد عليه في هذه الحالة الخطِيرة، فرشَّح دكتُور العِظام الَّذي سيُجرِي العمليَّة دكتُوراً بعينُه، وكان هذا الدُّكتُور في إجازة وسيعُود بعد حوالِي ثلاثة أو أربعة أيَّام. وبذلك سوف يستمِر أبونا على وضعُه هذا حوالِي الأسبُوع الكامِل، قاسِي فيه آلام تفوق الوصف، فشيخاً مُسناً كهذا عندما يُحرِّك جسدُه ويحتك الكسر معاً كان يصرُخ بأعلى الصوت: " الحقنِي يا أبونا (فُلان)، سرطان في رجلِي "،

فيُسرِع الرَّاهِبْ المُرافِق بتعديل القدم لإزالة الاحتكاك حتَّى يهدأ الألم.

في حوالي الرَّابعة بعد ظُهر الأربعاء ٢٩ مارِس، دخل أبونا بيشُوي حُجرة العمليات، وتمَّت عمليَّة تغيير المِفصل ببنج نِصفي فقط، نظراً لظرُوفه الصِّحيَّة، وخرج مِنْ حُجرة العمليات حوالي العاشِرة مساءً إلى الرِّعاية المُركَّزة، على أن يبيت فيها ليلة واحِدة فقط، ويخرُج يوم الخميس لِحُجرة عاديَّة بالمُستشفى.

صباح يوم الخميس ٣٠ مارِس، حضر طبيب القلب المُعالِج وكان أبونا نائماً، فدخل الرَّاهِبْ المُرافِق حُجرة الرِّعاية المُركَّزة وأيقظُه، واطمأن الطَّبيب على صحَّة أبينا بيشُوي وصرَّح لهُ بالخرُوج لِحُجرة عاديَّة. وكان أبونا بيشُوي ما زال غير مُنتبهاً مِنْ النَّوم، فَقَالَ للدُّكتُور: وأنا أخرُج ليه مِنْ أُوضتِي؟ أنا ها أبات هنا في مطرحِي (حيثُ كان أبونا يظُنْ أنَّهُ في الدَّيْر، فَقَالَ: أنا أنام في محبستِي ولن أترُكها). فوافق الدُّكتُور أن يستمِر في الرِّعاية حتَّى الغد. جهَّز الرَّاهِبْ المُرافِق فِطار أبينا بيشُوي (ما زال يعتقِد أنَّهُ في الدَّيْر).

أبونا بيشُوي: أنا بأحبَّك قوي يا أبونا (فُلان).

الرَّاهِبْ: وأنا كمان بأحبَّك قوي يا أبونا بيشُوي.

أبونا بيشُوي: اللي بيحِبْ واحِد يبرهِنْ عملياً على حُبُّه ليه.

الرَّاهِبْ: يبرهن إزاي؟

أبونا بيشُوي: إنُّه يسمع كلامُه، أنت بتحبِّني؟

الرَّاهِبْ: طبعاً يا أبونا بيشُوي.

أبونا بيشُوي: يُبقى لازِم تِسمع كلامِي، وتنفِّذ كل اللي أقول لك عليه، علشان تبرهِنْ عملياً على حُبَّك.

الرَّاهِبْ: أُؤمُر يا أبونا بيشُوي، وأي حاجة أستطيع أن أعمِلها مِشْ ها أتأخَّر فيها.

أبونا بيشُوي: عايزك ترُوح دَيْر الأنبا بيشُوي وتِسأل عن نِيافة الأنبا صرابامُون، وتقُول لهُ: ابنك بيشُوي عايز يِعترِف، وتأخُذ منهُ ميعاد وتيجي تقُول لِي.

الرَّاهِبْ: طب نفطر الأوَّل وبعدين ربِّنا يسهِّل.

أبونا بيشُوي: لا، الاعتراف الأوَّل. وتقُول لسيِّدنا أنَّ أبونا بيشُوي مِشْ ها يفطر ولا ها يتغذَّى إلاَّ لَمَّا يأخُذ الميعاد.

الرَّاهِبْ: بصراحة يا أبونا، الأنبا صرابامُون مشغُول علشان قداسة البابا والأساقفة في الدَّيْر.

أبونا بيشُوي: دي حاجة مستعجلة، حاجة نادرة مِنْ نُوعها، رُوح قُول لأنبا صرابامُون ابنك بيشُوي بيقولك النَّهاردة أوَّل يوم في تُوبتُه، وهو مانِعْ الأكل والشُّرْب إلاَّ بعد الاعتراف.

لم يُنقذ الموقفْ إلاَّ دخُول أحد رُهبان الدَّيْر للاطمئنان عليه، فنسى أمر الاعتراف، لكنَّهُ طلب مِنْ هذا الرَّاهب أمر أكثر صعُوبة.

يوم الجُمعة ٣١ مارس، تمَّ نقلُه لحُجرة عاديَّة بالدُّور الأوَّل، وقَامَ الرَّاهِبْ المُرافِق لهُ بمُساعدة مشايَّة رُباعيَّة تمشيتُه مِنْ السِّرير إلى الطُّرقة، ومِنْ السِّرير إلى الحمَّام أكثر مِنْ مرَّة. يوم السبت ١ إبريل، حضر دكتُور العِلاج الطَّبيعي، وتمَّ عمل بعض التَّمرينات لأبينا بيشُوي، ومشى كثيراً أيضاً. ثُمَّ حضر دكتُور القلب واطمأن على صحَّة وتحاليل أبينا بيشُوي، وكان فرِحاً جداً مِنْ النَّتائج لدرجة أنَّهُ قَالَ للرَّاهِبْ المُرافِق: " أنَّكَ سوف ترجع للدَّيْر بنفس الرُّوشتَّة الَّتي حضرت بها، بل أنَّني سوف أحذف منها بعض الأدوية لعدم الاحتياج إليها "، لتحسُّن حالة أبينا بيشُوي جداً. وبالفعْل حذف نوعين مِنْ الأدوية، ثُمَّ أردف قائلاً: " يُمكنكُمْ الآن مُغادرة المُستشفى، بالنسبة لي كل الأُمور مُستقرة والحمد لله، نسَّق مع دكتُور العِظام "، فَقَالَ لهُ الرَّاهِبْ المُرافِق: " دكتُور العِظام كتب الرُّوشتة، وقَالَ الموضُوع بالنسبة لي انتهى، في المُتابعة سيتم فك الدَّبابيس فقط، ننتظِر للغد لنأخُذ رُوشتة دكتُور العِلاج الطَّبيعي ثُمَّ نرجع للدَّيْر ".

كان بنفس الدُّور الرَّاهِبْ القُمُّص فليمُون السُّرياني، وكانت حالتُه الصِّحيَّة قد ساءت جداً، وتم تركيب رايِل لهُ ليتغذَّى مِنْ خِلالُه، وعَلَمْ بذلك أبونا بيشُوي، فَقَالَ

لِلرَّاهِبْ المُرافِق لهُ: " أنا ها آكُل يا أبونا (فُلان)، ومِشْ عايز رايِل ". كان هذا الرَّاهِبْ يستأذِن منهُ ويذهب لِيطمئِنْ على القُمُّص فليمُون، فيقُول لهُ: " ما تغيبش عليَّ "، أو " سلِّم لِي عليه ". وعندما يعُود يسألُه عن صِحَّة أبينا فليمُون. هذِه كانت عادتُه في كل مرَّة.

يوم السبت ليلاً ساءت حالة أبينا فليمُون جداً، حتَّى شعرنا أنَّ النِّهاية تقترِب، فَقَالَ الرَّاهِبْ المُرافِق لهُ: " أستأذنك يا أبونا أطمئِنْ على أبينا فليمُون "، فصرخ قائلاً: " لا، ما ترُوحش "، قلق الرَّاهِبْ لأنَّها أوَّل مرَّة يقُول هذه الكلمة، فَقَالَ لهُ: " ليه يا أبونا، فيه إيه؟! "، رد: " خلاص، خلصتْ "، زاد قلقُه فَقَالَ لهُ: " إيه هيَّ اللي خلصتْ؟! "، فَصَمَتْ. فكرَّر السؤال: " إيه هيَّ اللي خلصتْ؟ مالُه أبونا فليمُون؟ "، فَرَدْ: " خلاص، ركِّبتُوا الخرطُوم (الرَّايِل) والحِكاية خلصتْ. أُقعُد هُنا جنبِي وما تسيبنيش ". جلس الرَّاهِبْ بجواره، فنظر لهُ أبونا بيشُوي بعطف وقَالَ: " أصل أنا يا أبونا (فُلان) بأشعُر بالوِحدة لمَّا أنت بتسيبني. خلِّيك هُنا جنبِي ". جلسا والصمت يعُمْ الحُجرة لفترة طويلة، واعتقد الرَّاهِبْ أنَّ هذه اللَّيْلة هي آخر ليالِي القُمُّص فليمُون على الأرض. لكنْ الغريب كيف يشعُر بالوحدة لمُجرَّد تركُه عشرة دقائق، وهو الَّذي يعيش عُمرُه كُلُّه مُنفرِداً؟. فَقَالَ لهُ الرَّاهِبْ: " ما تقُول حاجة يا أبونا بيشُوي! "، فَرَدْ: " لا، عايزك جنبِي كده بس، ساكِتْ ". أراد الرَّاهِبْ أن يقطع الصمت بالسؤال، فسألهُ: " لمَّا أنت رُحت ديرُوط، مين رسمك كاهناً؟ "، أجابهُ: " بلاش كلام في السِّياسة "، فَقَالَ لهُ الرَّاهِبْ: " هيَّ دي سياسة؟! "، أجاب أبونا بيشُوي: " أيوه، اُسكُت "، فَقَالَ الرَّاهِبْ: " مِشْ فيه أحد الآباء بيقُول " أنَّ الصمت مِنْ أجل الله جيِّد، كما أنَّ الكلام مِنْ أجل الله جيِّد أيضاً! "، أظُن أنَّهُ مار إسحق؟ "، فلوَّح بيدُه قاطِعاً، وقَالَ: " أيوه، اُسكُت بقى ". الغرِيب لم يقُلْ أنَّ هذا القول لِلأنبا بيمِنْ وليس لِمار إسحق، فَصَمَتْ الرَّاهِبْ.

في حوالِي العاشرة ليلاً شَعَرْ الرَّاهِبْ المُرافِق بحركة غير طبيعيَّة بطُرقة الدُّور، فَقَالَ لأبينا بيشُوي: " يا أبونا، أنت تعبت، قُوم نام "، فَقَالَ أبونا بيشُوي: " لسَّه بدرِي "،

أجاب الرَّاهبْ المُرافِق لهُ: " كفاية كده يا أبونا علشان ما تتعبش "، فوافق وتم رفعُه بمُساعدة التَّمريض على السَّرير ونام. أمَّا الرَّاهبْ فخرج مُسرِعاً لِحُجرة القُمُّص فليمُون الَّذي كان قد بدأ يدخُل في مرحلة الغيبُوبة، وتمَّ نقلُه بالتُّرولي للرِّعاية المُركَّزة، واستمرَّ مع الرَّاهبين الآخرين في مُتابعة أبينا فليمُون حتَّى الثَّانية صباحاً، وبين الحِين والآخر يطمئنْ على أبينا بيشُوي الَّذي كان نائماً.

في الثَّانية صباح يوم الأحد صَعَدْ الرَّاهبْ المُرافِق لِيستريح في حُجرة أبينا بيشُوي، وفي الرَّابعة صباحاً استيقظ أبونا بيشُوي وطلب أن يجلس على الكُرسي، فَقَالَ لهُ الرَّاهبْ: " يا أبونا إحنا في نصْف اللَّيْل، نام شويَّة تاني "، فنام، وفي السَّادسة والنِّصْف صباحاً استيقظ نشيطاً جداً، وأخذ يُنادي الرَّاهبْ المُرافِق لهُ، ويقُول مُلحناً: " يا أبونا (فُلان) قُوم، كل ما أقول لك قُوم تقُول لي لسَّه بدري .. لسَّه بدري .. الظُّهر جه، ضيَّعت عليَّ الفطار والغذاء يا أبونا (فُلان) ".

استيقظ الرَّاهبْ وأخذ يستهلك في الوقت عمداً، انتظاراً لقدُوم شباب التَّمريض، فأجلس أبانا بيشُوي على الكُرسي وبعدها تناول طعام الإفطار. وفي هذا اليوم أكَل في هذه الوجبة أكثر مِنْ فِطار يومين، وفي حوالي العاشرة مِنْ صباح الأحد المُوافِق ٢ إبريل تم إصعاد أبينا بيشُوي على السَّرير لِيستريح قليلاً.

في العاشرة والنِّصْف بدأ أبونا بيشُوي يتنفَّسْ بصوت عالي [٢٩]، أخبر الرَّاهبْ المُرافِق الطاقمْ الطِّبِّي بالمُستشفى، فتم تركيب الأُكسجين لهُ. في حوالي العاشرة وخمس وأربعين دقيقة، خرج الرَّاهبْ المُرافِق لِطاقمْ التَّمريض وقَالَ لهُمْ: " ما زال نَفَسْ أبونا عالي، اُطلبُوا الدُّكتُور بسُرعة ". في هذه الأثناء أتت أُسرة تطلُبْ صلاة أبونا، فَقَالَ لهُمْ الرَّاهبْ: " الباب مفتُوح، اُدخلُوا لأبينا لِيُصلِّي لِلمريض "، دخلت الأُسرة وصلَّى لهُمْ، وخرجُوا فرحين مُستبشرين خيراً.

تمَّ الاتِّصال بطبيب القلب الَّذي طلب تحاليل غازات في الدَّم، وتتم هذه التَّحاليل بأخذ عيِّنة مِنْ الشُّريان، لِذلك يتم غرز الإبرة بقُوَّة في مِعصم اليد حتَّى تصل إلى

---

[٢٩] هذا شيء طبيعي بالنسبة لِظرُوفه الصِّحيَّة، وكان مُعتاداً عليه.

الشُّريان، وإن لم تُصبْ الهدف يتم سحب الإبرة وإعادة غرزها مرَّة أُخرى، وهكذا، وهي عمليَّة صعبة جداً. أتت إحدى المُمرضات لتأخُذ العيِّنة، فأمسك الرَّاهبْ المُرافق يد أبينا بيشُوي اليُمنى ليُساعدها، فكانت باردة والنبض بها ضعيف، فساورتُه الشُّكُوك، غرزت المُمرضة الإبرة مرَّة ومرَّتين ولم تُصبْ الشُّريان، ولم يصدُر منْ أبينا بيشُوي أي علامات الشُّعُور بالألم. انتقلت المُمرضة لليد اليُسرى، وتمَّ عمل نفس الخطوات السَّابقة، وكان أبونا بيشُوي مفتُوح العينين مُتيقظاً. أرادت المُمرضة أن تعُود لليد اليُمنى مرَّة أُخرى، وهُنا بدأ أبونا بيشُوي في القيء، خرج الرَّاهبْ المُرافق بسُرعة للتَّمريض وقَالَ لهُمْ أنَّ أبانا حالتُه خطيرة.

تمَّ تشغيل سارينة الخطر بالمُستشفى على رقم حُجرة القُمُّص بيشُوي، تجمَّع في الحال طاقمْ التَّمريض بالمُستشفى كُلُّها، وتمَّ عمل مضخات لمُساعدتُه على القيء، وعمل صدمات على القلب، ورفعُه على التُّرولي والنُّزُول به بسُرعة للرِّعاية المُركَّزة، وفي حوالي السَّاعة الحادية عشرة كانت رُوحُه قد انتقلت للسَّماء في هدُوء وسلام الملائكة، فلم تصدُر منهُ التَّشنُجات، ولا خرجت منهُ الحشرجات، ولا غاب في سكرات الموت وغيبُوبتُه، بل في هدُوءِه وسكُونه الَّذي عاش به في الدَّيْر، هكذا ترك الأرض وصَعَدْ للسَّماء في هدُوء الملائكة الأبرار. وقف الرَّاهبْ المُرافق لهُ يتأمَّل فيه قليلاً، ثُمَّ قبَّلهُ وأغمض عينيه. وبدأت سلسلة الاتِّصالات بالمسؤولين بالدَّيْر.

تمَّ وضع أبينا الحبيب في الرِّعاية المُركَّزة لمُدَّة ساعتين حسب القوانين، وفي هذه الأثناء تمَّ استخراج تصريح الدَّفن، والأوراق اللازمة، والسَّيارة لنقل الجُثمان الطَّاهر إلى الدَّيْر. وأصر الرَّاهبْ المُرافق على أن يُكفِّنُه بنفسُه حفاظاً على كرامتُه، فتمَّ تجهيزُه وتكفينُه وألبسُوه التُّونية البيضاء والقُلنسوة البيضاء والجُورب الأبيض والبُرنُسْ.

تحرَّكت السَّيارة منْ أمام " مُستشفى الحياة " في السَّاعة الثَّانية واثنتي عشرة دقيقة ظُهراً، وكان الدَّيْر قد حدَّد ميعاد الصَّلاة في تمام الخامسة مساءً، وكانت صلاة مساء يوم الأحد في تمام الرَّابعة بالدَّيْر، فَقَالَ الرَّاهبْ المُرافق للسَّائق: " سِرْ مُتمهِّلاً، فأمامنا وقت طويل، ولا نُريد أن نصل الدَّيْر قبل الخامسة، حتَّى تكُون صلاة مساء الأحد قد

انتهت ". بمُجرَّد أن تركُوا الشَّوارِع الجانبيَّة المُؤدية لِمُستشفى الحياة، ووصلُوا لِلشَّارِع الرَّئيسِي حتَّى وجدُوا الطَّرِيق مُزدحماً جداً، وكانت السَّيارة تسير ببُطء شدِيد، لكنَّها لم تقِفْ، فنظر السَّائِق لِلرَّاهِبْ وقَالَ لهُ: " الرَّاجِل ده شكلُه بَرَكَة قوي، قُلت لِي سير على مهلك، أدينا ماشيين ببُطء غصب عنَّنا. هو شكلُه كده ضابِط ميعادُه "، حتَّى قطعت السَّيارة المسافة مِنْ مُستشفى الحياة حتَّى بدايِة الصَّحراوِي في حوالِي ساعة ونِصْف.

في السَّاعة الرَّابعة وثلاثين دقيقة تماماً، كانت السَّيارة قد وصلت لِمنطقة الرِّست هاوِس، تمَّ الاتِّصال بالدَّيْر فكان الآباء ينتظِرُون أمام باب الدَّيْر الأثرِي، وبدأ طرق جرس الدَّيْر بأنغامُه الحزايني لِتُعلِنْ عن لوعِة وفُراق القُمُّص بيشُوي في كل البرِّيَّة. دخل أبونا بيشُوي بوابة الدَّيْر الخارجيَّة في السَّاعة الرَّابعة وخمسين دقيقة، ودخل باب الدَّيْر الأثرِي في السَّاعة الرَّابعة وخمسة وخمسين دقيقة، ودخل كَنِيسَة السَّيِّدة العذراء المغارة في تمام الخامسة [٣٠]. فإذا أردنا أن نضبُط الميعاد بهذه الدِّقة لفشلنا، ولكنَّها كلمة السَّائِق تتحقَّق فعلِياً " شكلُه ضابِط ميعادُه "، فعاش حَياتُه كُلَّها مُلتزِماً، خاضِعاً لِنامُوس الدَّيْر، ولم يصدُر منهُ اعتِراض أو تذمُّر على أي شيء، حتَّى ميعاد دخُول جُثمانُه لِلكَنِيسَة، ضبطهُ بالدَّقِيقة، لِيُعلِنْ أنَّهُ خاضِعاً مُطِيعاً لِنامُوس الدَّيْر، حياً وميتاً.

ولأوَّل مرَّة يدخُل الجُثمان مع دخُول نِيافة الأنبا متَّاؤُس، حيثُ أنَّ في مِثْل هذهِ الظُّرُوف يتأخَّر نِيافته قليلاً، لِينتظِر حضُور أساقِفة ورُهبان الأديُرة المُجاورِة لِيدخلُوا معاً، ويُعطِي فُرصة لِرُهبان الدَّيْر لإلقاء نظرِة الوداع على الرَّاهِبْ المُنتقِل، وأخذ بَرَكْتُه، حتَّى تتم الصَّلاة بعدها في هدُوء وتأمُّل. وكان الرَّاهِبْ الكنائِسِي يقُول اللحن الخاص باستِقبال الأساقِفة، حتَّى أنَّ أحد الرُّهبان علَّق قائِلاً: " هو اللحن كان يُقَال لِمَنْ، لِلأساقِفة — نِيافة الأنبا

---

[٣٠] تمَّ أخذ هذهِ المواعِيد مِنْ خِلال ساعِة مُوبايل الرَّاهِبْ المُرافِق لِقُدسه، واتِّصالات الآباء.

صرابامُون – ونيافة الأنبا متَّاؤُس – ونيافة الأنبا إيسيذُورُس – ونيافة الأنبا إبيفانيُوس، أم لأبينا بيشُوي؟! ". طافُوا بالجُثمان الكَنيسَة، ثُمَّ وُضِعْ أمام الهيكل، وتقدَّم الآباء يأخُذُون بَرَكَتَهُ، تسبِقهُمْ دُموعهُمْ ويُلاحِقهُمْ حُزنُهُمْ وألمُهُمْ لِفُراقِه. ثُمَّ بدأت الصَّلوات، وبعدها زُفَّ جُثمانُه الطَّاهِر في الهيكل والكَنيسَة، وخرجُوا به إلى ناحية الغرب حيثُ سُجِّي جسدهُ الطَّاهِر مع إخوانُه السَّابقين في طافُوس الدَّيْر، وبدأ الرُّهبان يتسلَّلُون واحِداً تلو الآخر إلى قلاليهِمْ، والعقل يسترجِع شريط طويل مِنْ أجمل الذِّكريات الرَّهبانيَّة مع شيخ وقُور، وراهِبْ مِنْ طِراز رُهبان القرن الرَّابِعْ، ويسأل الرَّاهِبْ نفسُه: " أحقَّاً مات أبينا بيشُوي؟! "، فيُجاوبهُ صوت الإيمان " **لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ** " (**١تس ٤: ١٣**). فكما كُنت معنا مُعزِّياً ومُشجِّعاً بإرشادك، وعوناً وسنداً بصلاتك، نثِق أنَّكَ الآن شفِيعاً أضعاف السَّابق، فالَّذي أعانك يُعيننا، لِكي نُكمِل أيَّام غُربتنا على الأرض بسلام إلى أن نلقاك.

أبناءك

رُهبان دَيْر السُّريان

الخميس ١٥ فبراير ٢٠١٨م

٨ أمشير ١٧٣٤ش

عِيد دخُول المسِيح الهيكل

مَدِيح لِلرَّاهِبْ القُمُّص بيشُوي السُّرياني [31]

ق: أبونا بيشُوي السُّرياني

• أبدي باسْم العَالِي   يسُوع المسيح البَارِي   لِيُقَدِّسَ لِساني
وأنظُمْ أشعاري   في وصف الطُّوباوي   هذا الأب الغالي
• نشأته المسيحيَّة   كهديَّة سمائيَّة   ببلاد المُنوفيَّة
حياة بِرْ نقيَّة   وسيرة ملائكيَّة   في محبَّة أخويَّة
• خَالَتُهُ القدِّيسَة   قُدْوَتُهُ النَّفيسَة   في حُبٍّ الكَنيسَة
تقدَّمَ بإحْسَاس   لمَهابَة القُدَّاس   صَارَ أفضل شمَّاس
• وفي الجُنديَّة   قُدوَة مسيحيَّة   بسلاح البحريَّة
بكَنيسَة مارِ مرقُس   يُصلِّي القُدَّاس   مع البَابَا كيرلُس
• العالم إلى زَوَال   فللرَّهبنَة قلْبُهُ مَالْ   لطمُوه ذهب في الحال
تتلمذ بلا تواني   للمُرشد الرَّهباني   القُمُّص أغاثُون السُّرياني
• ملاك الله رسُول   للأنبا أغابيُوس يقُول   ارْسمهُ كاهناً بتُول
لديرُوط ذَهَبَ بثبات   يَشْكُرُ ربَّ القُوَّات   الكَهنُوت أحلى الهبَات
• القس زكريَّا صَارَ   كَاهِنَ الله المُختار   ذا الهيبَة والوقَار
بَعْدَ طُول انتظار   أعلنَ رَغْبَتَهُ إجهار   البرِّيَّة موطنُ الأبكَار
• ذَهَبَ لِدَيْر السُّرْيَان   يُنْشدُ الألحَان   أعطني يَا ربُّ غُفران
اسْمُهُ الجديد الآن   بيشُوي مِنْ الرُّهبان   وبه كان فرحان
• صَارَ قُدوةً للرُّهبان   في الصمت بإتقان   والعَظَمَة في الإيمان
بالبساطة مُزدان   باسم المسيح فرحان   يَذْكُرهُ في كُلِّ أوان
• مُلازمة القلاية   والصَّلاة بعناية   في النُّسْك آيَة
الكُتُبْ الإلهيَّة   والقوانينُ الرَّهبانيَّة   لهُ أعظم تعزيَة

---

٣١. نَظم المُؤلِّف.

• قلبُــهُ نَقــيٌّ محبُــوب مثلُ طِيــبٍ مــسكُوب فَرَّحَ قلــبَ المــصلُوب

مِنْ الرُّهبان مطلُــوب يُعينــهُمْ في الحــرُوب ويُزِيل عنــهُمْ الكــرُوب

• الثَّــاني مِــنْ أبرِيــل تنــيَّح الأب الجليــل ونَــالَ أعظــم أكاليــل

أُذْكُرْ يَا رَبُّ بطركنــا وأســاقفتنا وكهنتنــا وكُــل شــعب بيعتنــا

• تفسِير اسمك في أفــواه كُل المُؤمنِين، الكُل يقولُون يا إلــه أبونــا بيــشُوي

أعنَّــــا أجمعِـــين

الفِهْرِس

الموضُوع	الصَّفحة
تقــديم الأنبــا متَّــاؤس	٧
المُقدِّمــــــــــة	٩
البَــــــابُ الأوَّل النَّشأة الأُولَى وَمَعَــالِم الطَّرِيــق	١٣
المــــــيلاد	١٥
النَّـــــشأة	١٥
النُّبـــــوءة	١٧
الـــــصَّوم	١٨
التَّعلـــــيم	١٩
علاقتــه بقدِّيـــسي عـــصره	١٩
الـــــشُّمُوسيَّة	٢٢
فِكْـــر الرَّهبنـــة مُنـــذُ الـــصِّغَر	٢٨
عـــودة رُفـــات مـــارِ مـــرقُس	٣٧
حِلْـــم الأُســـقُف	٤٣
مـــع الأنبـــا أغـــابيُوس	٤٥
الرَّهبنـــــة	٤٨
اســـم بيـــشُوي	٤٩
الرَّاهِبْ القِسْ بيشُوي الـــسُّرياني	٥١
الخدمـــة خـــارِج الـــدَّيْر	٥٩
القُـــدَّاس	٦٤
شَـــلَلْ نِـــصْفِي	٧١
في فيـــشَا	٧١
كَنيـــسَة بـــالمنزِل	٧٢

	العطاء	٧٣
	الاستقرار في الدَّيْر	٧٣
	القُمُّصيَّة	٧٤
	مع القُمُّص فلتاؤُس	٧٥
البَابُ الثّاني	**نقَاط مُضيئَة في حياته**	**٧٧**
	فضائل في حياته الدَّيريَّة	٧٩
	١. القلاية	٧٩
	٢. القانُون الرَّهباني	٨٠
	٣. صَلاَة يسُوع	٨١
	٤. الكتاب المُقدَّس	٨١
	٥. سِيَر القدِّيسين	٨٣
	٦. البساطة	٨٤
	مواقفْ مِنْ بساطته	٨٥
	٧. نقاء القلب	٨٦
	٨. الصمت المُعزِّي	٨٧
	٩. عدم القنيَة	٨٨
	١٠. عدم الإدانة	٩٠
	١١. النُّسْك	٩٢
	١٢. التَّواضُع وإنكار الذَّات	٩٤
	١٣. عدم الخُلطة مع العلمانيين	٩٥
	١٤. الهرُوب مِنْ المديح	٩٦
	١٥. الإحساس بالآخر	٩٧
	١٦. احترام المسؤولين	١٠٠
	١٧. احترام الأسرار الكَنَسيَّة	١٠١

البَـــابُ الثَّالِـــث   رِحلَـــة مـــع المـــرض   ١٠٣
المـــــــــــــــرض   ١٠٥
عمليَّـــــة ناجحَـــــة   ١٠٨
مدِيح لِلرَّاهِبْ القُمُّص بيشُوي السُّريانِي   ١١٦

Frfanous@gmail.com

الراهب القمص بيشوي السرياني
الشماس الخادم الأمين الواعظ القدير
الكاهن المتبتل الساهر علي شعبه
الراهب البسيط .. الناسك .. المتضع
ذو القلب النقي .. حبيب القديسين .. الصامت
الروحاني .. صاحب الصوت المعزى قيثارة الروح
أنة الشيخ الوقور .. القمص المبرور
مصباح دير العذراء مريم السريان العامر

الراهب القمص بيشوي السرياني
الواعظ
اهر علي شب
ناسك .. المتضع
يب القديسين .. الصامت
حب الصوت المعزى قيثارة الروح
الوقور .. القمص المبرور
مصباح دير العذراء مريم السريان العامر